تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

# الأستاذ عبد السلام ياسين
# مرشد جماعة العدل والإحسان في ذمة الله

10

المدير المؤسس
المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

# المحجة

جامعة نصف شهرية

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

06 صفر الخير 1434هـ – 20 دجنبر 2012م

3 دراهم

العدد : 391


افتتاحية

## حاجة الأمة
## إلى العمل المؤسساتي الراشد و المتكامل

تعيش الأمة مخاض ولادتها الجديدة منذ مدة غير قليلة، وإبان هذه الفترة ظهرت مشروعات فكرية ونظرية عديدة حاولت أن ترسم خارطة الطريق نحو نهضة جديدة فبعضها نال حظا من الذيوع والانتشار والقبول، وكثير منها مني بالفشل الذريع والانحسار وسرعة الذبول رغم قيمته ووجاهته.

ومن أهم الأسباب التي حرمت الأمة من ثمار هذه الجهود الطيبة أنها جاءت - في غالبها - مبادرات فردية متباعدة في الزمان والمكان والرؤية، وافتقرت إلى التنسيق والتكامل، وأحيانا جاءت جزئية افتقرت إلى الرؤية الشمولية المتكاملة والمتوازنة، وأحيانا ثالثة ظلت محلية في مصدرها دون أن تعمم للاستفادة منها أفقيا وعموديا، وأحيانا أخرى جاءت مغرقة في النظر بعيدة عن الواقع وإمكان تطبيقها وتحويلها إلى مشروعات عملية، وغاب عن كثير من هذه الجهود المباركة روح النظر الكلي والشمولي، وروح التنسيق والتشاور من أجل ترشيد طاقات الأمة نحو التكامل لا التآكل، والتضافر لا التنافر، والتكاثف والتكاثر لا التناحر والتناثر، والتعاضد لا التعارض، والتعارف لا التناكر، والموالفة والتلاقي لا المخالفة والتجافي.

إن الأمة اليوم لهي في أشد الحاجة إلى العمل المؤسساتي في مختلف المستويات وفي كل ما يسع من المجالات والتخصصات، وهي اليوم في أشد الحاجة، بعد ذلك وقبله، إلى مؤسسة أُمٍّ رابطة جامعة، رابطة ترعى كل ذلك، وتجمع شتات ما تفرق، وتسدد من الجهود ما تكرر، وجامعة تمتلك النظر الكلي البعيد، والتصور الاستراتيجي الشمولي والسديد، وتقتدر على التحاور والتشاور، والتكامل والتنسيق، وعلى التوجيه والجمع، لا التشتيت والتفريق.

إن جسم الأمة أصبح يمتلك، أكثر من أي وقت مضى، أجهزة سليمة، وجهودا قويمة، وعزائم حكيمة، وطاقات قوية وأمينة، وأعمالا رصينة؛ غير أن الأمة ستظل محرومة من كل نتائج هذه الخيرات والمقدرات في غياب مثل هذه الرابطة الجامعة النافعة.

وإن أهم مجال ينبغي أن تصرف إليه العناية كل العناية وتبذل فيه الجهود إلى أقصى حد وغاية لهو مجال البحث العلمي والعمل الاجتماعي:

فالأول يكفل للأمة حصر مواطن الخلل فيها، ومواطن النقص والحاجة لديها، ويرصد لها أنجع الوسائل والإمكانات، ويرسم لها أهدى السبل وأقوم المسارات، ولن يتحقق مثل هذا ما لم تنشأ مراكز علمية للبحوث والدراسات، تكون متعددة متخصصة متجددة في موضوعاتها، متكاملة في وظائفها، وراشدة في تصورها وتصرفها، ولن يكون لهذه المراكز أثر قوي ما لم ترعها وتتعهدها مؤسسة علمية هي بمثابة الأم الجامعة؛ والرابطة النافعة بكل خير ونعمة والدافعة لكل شر ونقمة، وظيفتها الإشراف الكلي على مراكز البحث تقويما وتجديدا تنسيقا وتكاملا، اعتمادا وإيجادا.

تتمة : ص 2

## التذكير بالقرآن أساس الدعوة إلى الإسلام

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ——— 4

## الدعاء والاستغفار وأثرهما في إصلاح الفرد والمجتمع

د. لخضر بوعلي ——— 5

## تجارب الإصلاح الإسلامي المعاصر في التدبير التربوي

ذ. عبد المجيد بلبصير ——— 7

## الشهيد والشهيد الغسيل....

ذ. عبد القادر لوكيلي — 11

## حقوق الإنسان في الإسلام

ذ. إدريس اليوبي — 6

## القرآن الكريم بين جيل وجيل

د. الميلود كعواس ——— 13

## في ظل التخبط العام للمسلمين :

# ﴿قُل إن هُدَى الله هُوَ الهُدى﴾ (البقرة : 119)

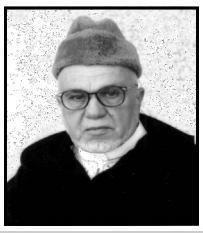

المفضل فلواتي – رحمه الله تعالى

إن الإسلام نعْمةٌ ربّانية فمن قَبلها واهتدى بهَدْيها، وشكر الله تعالى عليها شكراً يليق بجلاله، ويليقُ بالنِّعْمة المُهْداة له كان من الفائزين دُنْيا وأخرى، ومن كفر بنعمة الإسلام وجَحَد هُداها وفَضْلها كان من الأشقياء دنيا وأخرى ﴿**فَإِمَّا يَأتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى. وَمَنْ أعْرَضَ عن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى. قَالَ : رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً؟! قَالَ كَذَلِكَ أتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا، وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى، وكذلك نَجْزِي من أسْرَفَ وَلَمْ يُؤمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أشَدُّ وَأبْقَى**﴾(طه : 120- 125).

آيَات مُحْكماتٌ حاسماتٌ تَضَعُ المُسلم فرداً أو جماعةً أو دولةً بَين أمْرَيْن لا ثالث لهما، هما :

■ إمّا قَبُول الهدى الربانيّ بقَبوله وشروطه ولوازمه وشُموله وفي ذلك الضّمانةُ الكبرى للفوز في الدّنيا والأخرى، والوقايةُ العُظمى من كُلّ المهالك، والمعاطب دنيا وأخرى.

■ وإمّا إعْراضٌ تامٌّ عن هُدى الله تعالى، وإسرافٌ كبيرٌ في عصْيانه ومُحَادّاته وجحُود نعمه الشاملة، فتكون النتيجة شَقَاءً على كُلّ صعيد، ومَهلكاً في كُلّ طريق، وعذاباً تلْوَ عذاب إلى العذاب الأشَدِّ والأبقى يوم القيامة.

والذي يلقي نظرة عَجْلَى على العالم الإسلامي بأُسَره، وشُعوبه، ودوله، ومؤسّساته وأهدافه وتخطيطاته، وحكوماته ومجالس تشريعاته، وإعْلامه وأحزابه.. يَرى ويُدرك بسُرْعة فائقة أنّه يتخبَّطُ تخبُّطاً تامّاً في كُلِّ اتجاه، ويعيشُ اضطراباً لا نظيرَ لهُ في كُلّ ميدان.

تخبُّط وصَلَ إلى حَدِّ الضَّلال والتَّلَف والتّيهان عن كُلّ معالم الطريق المُنقذة والمُنجية من التردّي والسقوط.

تخبُّط في :

**1) العقيدة :** تلفوا عن عبادة الله تعالى وحْده إيماناً وإخلاصاً وشريعةً، فأرادُوا المُواءَمَة والمُزاوجَة بين الله تعالى ومَن دُونه من أصْنام العَصْر : طاعة الله تعالى وطاعة الحزْب الجاحد للربوبية والألوهية، طاعة الله تعالى وطاعة النّظم المجاهرة بالكُفران والجحود لنعمة الهداية الربانيّة، طاعة الله تعالى وطاعة العولمة الكفرية المؤسسة أساساً على ضَرْب الإسلام ومحاربة وجوده، طاعة الله تعالى وطاعة الحَداثة الوافدة من دُوَل لمْ تذُق طَعْم الدين الصّحيح أصلاً، فاخترعَتْ لنفسها ديناً مُنْبَثقاً من هواها، خَدَعَت به نَفْسَها أولاً، ثم خَدَعتْ به أصحاب النفوس الضعيفة، ثانيا.

فهؤلاء الباحثون عن المواءمة والمزاوجة يظنون أنفسهم أنهم أذْكى الناس وأنجبُهم وأفطنُهم لأنهم عَرَفوا كيف يُرْضُون الله – في ظنهم- ويُرضُون أهواءَهم وشياطينَهم في نفس الوقت. مع أن البحْث عن هذه المُزاوجَة عرَفَتْها قُريش قبلهم، وأرادُوا اسْتمَالَة الرسول ﷺ إليها، فقالوا لرسول الله ﷺ : نَعْبُد معَك إلهكَ سنَةً، وتعْبُدُ معنا أصنامنا وآلهتَنا سنَةً، فأيْنَما كان الخَيْر –في إلَهك أو آلهتنا- لمْ يُخْطئْنا، فقال له الله تعالى، قُلْ لهم بجَرَاءَة جريئة، وبراءة صارمة : ﴿**قُلْ يَا أيُّها الكَافِرُون لاَ أعْبُدُ ما تَعْبُدون ولا أنْتُم عَابِدُون مَا أعْبُد ولا أنا عَابِدٌ ما عَبَدْتُم ولا أنْتُمْ عَابِدُون ما أعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُم ولِيَ دِين**﴾(الكافرون).

لا التقَاء لا في مَبْدَإِ الطريق، ولا في وسطه، ولا في نهايته، لكم دينُكُم ولي دين، لأن دين الله عز وجل لا يُبيحُ لا نفاقاً، ولا رياءً، ولا مخاتَلةً ومداهنةً، ولا يبيح كَذباً وغشّاً وابتزازاً ومحاباةً، وانتهازيةً وأنانيةً، ولا يُبيحُ تدَيُّنا لجَمْع الأموال واحتكار الثّروات، وتجْميع السُّلط للتسلط على الرقاب، رقاب الأفراد والشعوب أمّا دين هؤلاء المُزاوِجين فهو يُبيحُ كلّ ذلك وأكثر من ذَلك.

ولَقد فضَحَ اللّه عز وجل نفسية هؤلاء المُزاوجين قديماً وحديثاً، وكيف يغْمُرهم الفرح بالمزاوجَة المرذُولة، فقال تعالى : ﴿**وَإِذَا ذُكِر اللّه وحْدَهُ اشْمَأزَّتْ قُلُوبُ الذينَ لا يُومِنُونَ بالآخِرَة وإذاَ ذُكِر الذينَ من دُونِه إذا هُمْ يَسْتَبْشِرُون**﴾(الزمر : 42) فَرحٌ غَامِرٌ ليس بالله تعالى، ولكن بمن دُونَه.

وقال تعالى أيضا : ﴿**ذَلِكُم بِأنَّه إذَا دُعِيَ اللّه وحْدَهُ كَفَرْتُمْ وإنْ يُشْرَكْ بِه تُومِنُوا، فالحُكْمُ للّهِ العَلِيِّ الكَبِير**﴾(غافر : 11).

فأيُّ ذكاء في هؤلاء الذين يحاولون المزاوجة بين الدّين، ولا دين، وبين الكفر والإيمان، بين تطليق الدّين في الصّور العلمانية والحداثية والمجتمعات المدنيّة، والدّول الحديثة، ودولَة القانون.. وما إلى ذلك من الشعارات البراقة الكذّابة الخدّاعة التي خَدَعَتْ الشعوب أزْماناً وعُقوداً.. وبَيْن الدّين العادل الصادق الذي حَكَم على هؤلاء جميعا بالكذابين، ونهى عن المَيْل إليهم أو طاعتهم فيما يَذْهبون إليه من تحريف الأفراد والشعوب والضحك على ذُقونهم، فقال تعالى : ﴿**ولاَ تُطِع كُلّ حَلاّفٍ مَهِينٍ هَمّازٍ مشّاء بنَمِيمٍ مَنّاعٍ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ أثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ أنْ كان ذَا مَالٍ وبَنِينَ إذَا تُتْلَى عَلَيْه آيَاتُنَا قَالَ أسَاطِيرُ الأوَّلِين**﴾(القلم : 15).

**2) وتخبُّطٌ في الفكر :** خطورةُ هذا التخبُّط الفكري تتَجَلّى في انْعدام مرجعيّة الانْطلاق للتخطيط للمُسْتقْبل في أيّ أُفُقٍ من آفَاقِ البناء الحضاريّ، والبناء الاقتصاديّ، والبناء السياسيّ، والبناء الاجتماعيّ، والبناء العلميّ، والبناء التجاريّ، والبناء العسكريّ، والبناء المُخَابَراتي، إلى غير ذلك من مختلف الآفاق العميقة والدقيقة، فعلى أيّ أسَاسٍ تَمَّ :

● تَحْييدُ القرآن العظيم من التعليم الرّسْمي؟! : إذا كُنّا مسلمين، فالقرآن أصْلُ إسْلامنا، وإذا كُنّا نصارى أو يهوداً أو بوذيين فَلْنُوضَعْ كُتب هؤلاء لتعليم هذه الديانات؟!

● **وعلى أيِّ أسَاسٍ تمّ تهْميشُ اللُّغة العربيّة؟! الأنّنَا نَسْتَطيع أن نُصَلِّيَ ونَقْرأ القرآن بغير العربية؟! ما هي اللغة المُقترحة للقيام بهذا الدّور؟! فلْتُوضَعْ، ولْتُعْلَمْ؟!**

● عَلى أيّ أساسٍ يَتمُّ التّخْطيطُ للاقْتصَاد؟! للتكافل وتقْريب الفوارق الطبقيّة؟! أمْ لتسْمين الكبار واستغلال الصغار؟!

● وعلى أيّ أساسٍ يتمُّ التّخْطيطُ لسياسَة البلاد؟! لتَفْجير الطّاقات، وتنْمية المواهب، وتحْفيز الهمَم للْعَمل والإبْداع؟! أمْ لكَبْت الطّاقات وإحْباط التّطلُّعات؟!

● وعَلى أيّ أساسٍ تُقْبَرُ مَراكزُ البَحْث العلميّ؟! أَلأنّنَا خَطّطْنَا للجَهْل والتّجْهيل؟! أم أننا نريدُ أن نرفع شعاراً فريداً في العالم؟! هو شعارُ محْو العلْم وتعْميم الأمّية الفكريّة، والثقافية، والقَلمية، والأسريّة، والسياسيّة، والخُلُقيّة، لتَنْقَلبَ شعوب أمّة ﴿**اقْرَأ**﴾ إلى أمّة «اجْهَلْ» لتُسْتَحْمَرَ وتُسْتَبْغَلَ ويُرْكَب عليْها بدون برْدعة ولا وطاء؟! فليْس عيْباً أن نكون من أمّة الحمير والبغال ولكن بتخْطيط واضح، أمّا أن يُكذَبَ علينا بإيهامنا أنّنا من بَني آدم المُكَرّمين والحقيقةُ أنّ التخطيط الذي يُخطط لنا هو تخطيطٌ لتخْريج المُسْتَحْمرين؟! فذلك هو العَيْبُ المَعيب؟! والتفكير المريض؟!

أمّا العَيْب الأكبر فهو اللّجوء بدون حَياء لتَرْقيع خُواء فكْرنا بالمُرَقّعَات من هُنا وهُناكَ بدَعْوى التفَتّح والتنوّر؟! والأخْطَر والأدْهى اللجوءُ إلى المُسافَحَة الفكريّة بدُون حشْمة ولا غَيْرة؟! فنسْتأْجر فنادقنا وجامعَتَنا ومعاهدنا وبيوتَنا ومدارسَنا لممارسة البغاء الفكري المَمْقوت؟! فهذه نَدْوةٌ للتنمية الاجتماعية، وهي في الحقيقة ندوة لقتل التنمية، وهذه ندوة للحوار الديني، وهي ندوة لاستئصال الدين الإسلامي الصحيح، وهذه ندوة لمحاربة الإرهاب، وهي في الحقيقة ندوة لترسيخ فَرْعَنَة الإرهاب الدّولي. وهذه ندوة للحوار الديمقراطي وهي في الحقيقة نَدْوة لقَتْل الديمقراطية وتفريخ الاستبداد. وهذه ندوة للحقوق وهي في الحقيقة ندوة لتضييع الحقوق؟!

إلى غير ذلك من السّفاحات التي ترُومُ قَتْلَ الغَيْرة واستئْصالها من الفطرة النظيفة لتَمْرير المُخَطَّطات الكفيلة بتخريج الأجيال المُسْتحْمَرة فكَراً ودِيناً، ولغةً، وآداباً، وثقافة تُقادُ باللّجُم الحديديّة فتوجَّهُ حيْثُ يُريد سائسُها؟!

قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثَةٌ لا يَدْخُلُون الجنّة أبداً : الدَّيُّوثُ، والرجُلَة من النّساء، ومُدْمن الخَمر**» فقالوا : يا رسول الله أمّا مُدْمن الخمْر فقد عرفناه، فما الدّيُّوث؟! قال : «**الذي لا يُبَالي مَنْ دَخَلَ على أهْلِه**» قيل : فما الرّجُلَةُ من النساء؟! قال : «**التي تَتَشَبّهُ بالرِّجَال**»(الطبراني، والنسائي، والحاكم).

وقد روى البخاري أن سعد بن عُبادة قال للنبي ﷺ «لو رأيْتُ رَجُلاً مع امْرأتي لَضَرَبْتُه بالسّيف غَيْر مُصْفَحٍ» فقال النبي ﷺ «أتَعْجَبُون من غَيْرة سَعْدٍ؟! لأنَا أغْيَرُ منْه، واللّهُ أغْيَرُ منّي».

إنّ الذي لا يغَارُ على عرْض زوجته يُحْرَمُ من رِضْوان الله تعالى، ويُحْرم من تقدير الناس واحترامهم، فكيف بمن لا يغَارُ على شعبه؟! وعلى أمته؟! وكيف بمن لا يغار على دين ربّه؟! ودين أُمّته؟! ودين الإنقاذ للإنسانيّة جمعاء؟! وكيف بمن يعْمل على تسهيل المُخَادَنة الدينيّة؟! والمُسافحة الأخلاقية؟! غَيرة سعد بن عبادة رضي الله عنه حَمَلَتْه على أن يكون مستعدّاً على الضرب بالسيف غَيْر المُصْفَح –أي يَضْربُ بحدِّ السّيف لا بعَرْضه لقتْل المنتهك لعرضه) أمّا غيرةُ الله تعالى على دينه وهُداه الذي هو الهُدى وحْده فتَتَجَلّى في :

**1) الإضْلال عن الطريق :** ومن ضلّ عن الطريق عاش حياته كُلّها قَلقاً مُضْطربا نفسياً وأسرياً واجتماعياً، وساسيا، لا يدري أي طريق يتّبع؟!

**2) السُّخط والإشْقاء :** لأن من عاش تائها حائراً عاش شقيّاً ساخطاً ناقماً على كل شيء، وتلك هي الشقاوة الصغرى أمّا الشقاوة الكبرى فهي في الأخرى.

**3) الحرمان من رحمة الله تعالى :** لأن من نَسي الله عز وجل أنْساه نَفْسَه فعاش مقطوع الصلة بالله تعالى الذي أوْكَلَهُ إلى نفسه فارْتَمى في قبضة الشيطان الذي صار يرميه من مَهْلَك إلى مَهْلك.

**4) السّقوط في عُبودية البشريّة الطاغية :** لأن الإنسان المُسْرف في الإعْراض عن دين الله تعالى يَظُنّ أنه بتطليقه للدين يتحرَّرُ، فَيهْرب من شريعة الله وهداه إلى دساتير الإنسان الطاغي لتَضمن له حقوقه وكرامته وإنسانيّته، فماذا يَجد؟! يَجد أن ذلك كُلّه خَيالاتٌ وأوهامٌ وشعاراتٌ. أما الحقيقة فهي السّحْقُ الكاملُ للحريّة، والطحْن التامُّ للكرامة، والقتلُ التّامُّ للإنسانيّة الآدمية؟!

فهل تعي شعوبُنا وقادتُنا ومسؤولونا ومفكّرونا هذا الشقاء الذي أوْقَعَنا فيه الإعْراضُ عن هُدى الله؟! والإسراف في عصيانه؟! وفي المجاهَرة بعُقوق دينه؟! إن الله تعالى –برحمته- فتح لنا طريق الهُروب من هذا الشقاء، فقال : ﴿**فَفِرُّوا إلى اللّه**﴾ لننجُوَ من الضلال والشقاء، أما إذا تمادَيْنا فقال لنا ﴿**وكَذَلِك نجزي من أسْرَفَ ولَمْ يُومِنْ بآيَاتِ رَبِّه ولَعَذَابُ الآخِرةِ أشَدُّ وأبْقَى**﴾.

## افتتاحية (تتمة)

والثاني هو العمل الاجتماعي، فهو بمثابة الصورة التطبيقية والوجه العملي للبحث العلمي، فالأمة في حاجة ماسة إلى مؤسسات ومراكز العمل الاجتماعي تتنوع بقدر تنوع القطاعات والمجالات وتتعدد بقدر تعدد الحاجات، وتتجدد وتتوالد بقدر تجدد القدرات وتوافر الإمكانات، ولن يؤتي هذا العمل أكله الحقيقي أيضا ما لم ترتبط مؤسساته في رابطة جامعة كلية، وظيفتها أولا رعاية الموجود تفعيلا وتنسيقا وتكميلا وتلحيما، وثانيا التفكير في المفقود تأسيسا وإنشاء وتتميما، إذ قوة الجسم في قوة أعضائه وأجهزته، وقوة الأعضاء والأجهزة في تلاحمها وتكامل وظائفها، وفي توحد جهودها وغاياتها، وفي الاستثمار الأمثل لإمكاناتها.

جريدة المحجة

■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي

الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net

عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)

الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113

الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

## الولايات المتحدة: فيلسوفة أمريكية: معاداة الإسلام تسمم البلد

صرحت الفيلسوفة الأمريكية الشهيرة "مارتا نوصبوم" -الأستاذة بجامعة "شيكاغو" - بأن تاريخ الغرب يجسد معاداة الأديان، وأوضحت الفيلسوفة الشهيرة أن معاداة الإسلام التي تنتشر في العالم الغربي تستمر في تسميم "الولايات المتحدة".

وقالت "نوصبوم": إن الأمريكان والأوروبيين يشعرون بالفخر بأنفسهم بما وصلوا له من وضع مستنير بخصوص التسامح الديني، لكن الجميع يعرف أن التاريخ الغربي يجسد المعاداة والعنف ضد الدين، وأكدت أنه يجب دراسة التفرقة القانونية الواضحة التي يتعرض لها المسلمون في "الولايات المتحدة الأمريكية" و"فرنسا" و"بلجيكا" و"ألمانيا" و"إسبانيا".

وقالت الأستاذة الجامعية "نوصبوم": يجب على المجتمع الغربي أن ينتقد ذاته كي يدرك الأسس التي تقوم عليها شبهاته وتخوفاته، وترى " نوصبوم " أنه يلزم وضع دروس تمكن جميع الطلاب في الجامعات من الحصول على معلومات حقيقية عن الأديان الكبيرة؛ فالتعلم والمعرفة من شأنهما هزيمة هذه المخاوف القبيحة.

● شبكة الألوكة

## الأسد طلب اللجوء السياسي له ولعائلته في أميركا اللاتينية

ذكرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية أن الرئيس السوري بشار الأسد طلب اللجوء السياسي له ولعائلته عبر رسالة سلمها المقداد لرئيس فنزويلا شافيز ورؤساء أميركا اللاتينية.

وقالت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون إن الولايات المتحدة قلقة من أن الرئيس السوري بشار الأسد الذي يزداد نظامه يأسا قد يلجأ إلى استخدام الأسلحة الكيماوية أو يفقد السيطرة عليها.

وعقب اجتماع مع وزراء خارجية حلف شمال الأطلسي وافق خلاله الحلف على إرسال بطاريات باتريوت مضادة للصواريخ إلى تركيا قالت كلينتون إن واشنطن أوضحت لسوريا أن استخدام الأسلحة الكيماوية سيكون خطا أحمر للولايات المتحدة.

وأضافت "مبعث قلقنا هو أن نظام الأسد الذي يزداد يأسا قد يلجأ للأسلحة الكيماوية أو يفقد السيطرة عليها لصالح واحدة من الجماعات الكثيرة التي تعمل الآن في سوريا".

## دراسة علمية تؤكد فائدة قشر التفاح في التخلص من الدهون

نشر علماء من جامعة أيوا الأمريكية نتائج أبحاث قاموا بها، تؤكد أن قشر التفاح بمختلف أنواعه يحتوي على مركبات طبيعية تشكل "ذخيرة حية" تُسهم بإذابة الدهون، مما يؤدي إلى التخلص من الوزن الزائد. ويعود ذلك إلى احتواء قشر التفاح على مواد تساعد على ازدياد في معدل الكتل العضلية والخلايا الدهنية السمراء، الأمر الذي يؤثر بشكل فعال على حرق الدهون المتراكمة.

ويؤكد الباحثون القائمون على الدراسة أن قشر التفاح يحتوي على مادة الـ "يوروسوليك" التي ساعدت فئران خضعت للتجارب على حرق سعرات حرارية أكثر، سمح لها بتخفيف أوزانها الزائدة، مما يعني أن تناول قشر التفاح يعتبر أحد عوامل "تأجيل فرص الإصابة بالسكري ودهون الكبد".

## تركيا: غرامة لمسلسل كارتون لسخريته من الدين

فرض المجلس الأعلى للإذاعة والتلفزيون التركي غرامة على قناة "سي إن بي سي إي" لعرضها لمسلسل الرسوم المتحركة "عائلة سمبسون"، الذي أظهر الإله في جسد واحد مع الشيطان، وأن الإله ينفذ أوامر الشيطان، فضلاً عن تشجيع الفيلم على شرب الخمور.

وقعت "تركيا" غرامة على القناة التلفزيونية قدرها 92951 ليرة، وبذلك تُعد الدولة الأولى التي تجرم فيلم رسوم متحركة.

"عائلة سمبسون" هو أشهر مسلسل رسوم متحركة على مستوى العالم، بدأ في البث عام 1989 ليستمر 23 عامًا دون توقف، وجاءت في حلقته التي عرضت يوم 1 نوفمبر، والتي استغرقت 48 دقيقة ما يسيء للأديان ويشجع على تناول المشروبات الكحولية.

## روسيا تقر والناتو يتحدث عن قرب سقوط الأسد

أكد الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية أن الشعب السوري لم يعد بحاجة إلى تدخل قوات دولية للإطاحة بنظام بشار الأسد خاصة مع تقدم مقاتلي المعارضة نحو وسط العاصمة دمشق، يتزامن ذلك مع تصريحات روسية ومن قبل حلف شمال الأطلسي (ناتو) أجمعت على قرب انهيار النظام السوري وأنه يفقد السيطرة على البلاد تدريجيا.

فقد أكد رئيس الائتلاف الوطني السوري أحمد معاذ الخطيب أن الشعب السوري لم يعد بحاجة إلى تدخل قوات دولية بسوريا، خاصة مع تقدم مقاتلي المعارضة نحو وسط دمشق، مشيرا إلى أن المعارضة لن تعطي أي ضمانات للأسد إلى أن ترى عرضا جادا لحل الأزمة.

وقال الخطيب إنه يأمل أن يدرك الأسد أنه ليس له دور في سوريا أو في حياة الشعب السوري وأن الأفضل له أن يتنحى. وحمل قوى عالمية وإقليمية المسؤولية عن صعود من سمّاهم المتشددين الإسلاميين في سوريا، وقال إن تقاعس العالم عن منع قوات الأسد من قتل محتجين مسالمين منذ مارس/آذار 2011 هو السبب الأساسي.

## الخطوط الجوية التركية: رقم قياسي في رحلات العمرة هذا العام

حققت الخطوط الجوية التركية رقما قياسيا عام 2012 خلال التسعة أشهر الأولى منه في عدد رحلات الطيران التي تقل المعتمرين. ورغم أن عدد رحلاتها محدد بالنسبة للحج، إلا أنها حققت 2231 رحلة عمرة، ونقلت 305 ألفا 606 معتمرا.

هذا وقد قامت الخطوط الجوية التركية بإيجار نحو 2515 رحلة طيران خاصة منها 622 للطيران الداخلي و1839 للطيران الدولي، أقلت نحو 262 ألف راكب.

## حماس في الذكرى 25 لتأسيسها: حجارة السجيل طريق التحرير

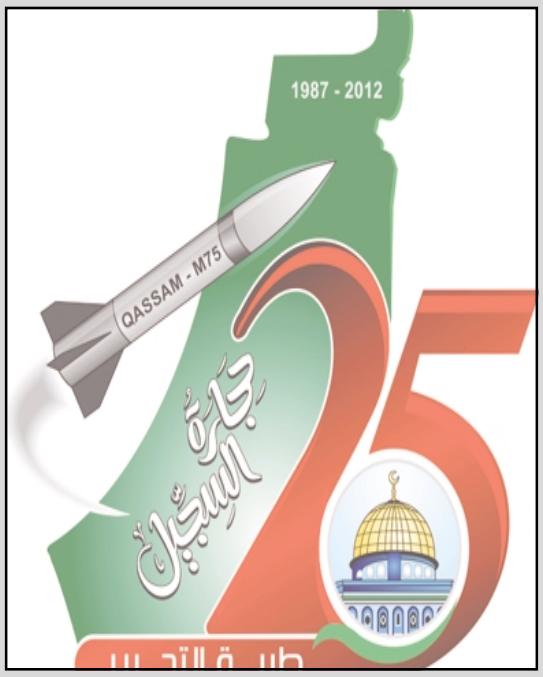


أحيت، حركة حماس بالضفة الغربية، للمرة الأولى منذ العام 2007، ذكرى انطلاقتها الـ 25 في مدينة نابلس، بحضور الالاف من مناصريها.

وللمرة الأولى منذ أحداث الانقسام الدامية، يبث تلفزيون فلسطين ذكرى انطلاقة حماس على الهواء مباشرة.

وتأتي انطلاقة الحركة هذا العام وسط أجواء إيجابية تتحدث عن تحركات فلسطينية لإتمام المصالحة بين حركتي فتح وحماس.

وألقى أمين سر المجلس الثوري لحركة فتح، امين مقبول كلمة خلال المهرجان أكد فيها أن الوحدة الوطنية هي صمام أمان الشعب الفلسطيني.

وقال مقبول، "إننا ندين لانتصار المقاومة في غزة، وانتصار الدبلوماسية الفلسطينية في الأمم المتحدة، لحالة الوحدة الوطنية التي نراها على أرض الواقع هذا اليوم".

وبارك مقبول باسم حركة فتح لحماس انطلاقتها، مؤكدا على أن اللقاء الذي سيدعو له الرئيس أبو مازن خلال أيام، لفصائل العمل الوطني والإسلامي، سيسجل في تاريخ شعبنا، كيوم لإنهاء الانقسام".

مضيفا أن "التنافس بين الفصائل سيكون عبر صناديق الاقتراع لانتخاب مجلس تشريعي جديد، ولانتخابات الرئاسة أيضا".

## ألمانيا: اعتبار الأعياد الإسلامية عطلة رسمية للمسلمين في بريمن

أعرب عمدة مدينة "بريمن" الواقعة بشمال "ألمانيا" عن سعادته بعد أن أصبحت مدينته ثاني المدن بعد "هامبورج" بالولايات الألمانية الـ16 التي اعتبرت الأعياد الإسلامية عطلتين رسميتين؛ حيث أكد أن الإسلام والمسلمين جزء من المدينة وحياة الألمان.

وجاءت تلك التصريحات بعد توقيع اتفاقية بين العمدة والجمعية الإسلامية المحلية، في إطار الاعتراف والاحترام المتبادل بين الجانبين ومنح المسلمين عطلة غير مدفوعة الأجر أيام الأعياد الإسلامية

● شبكة الألوكة

## تقارير استخباراتية: الأسد يبحث عن "خروج آمن"

بينما يواصل مقاتلو المعارضة السورية تقدمهم في الكثير من المدن الكبرى، ومنها العاصمة دمشق، على حساب القوات الحكومية الموالية لنظام الرئيس بشار الأسد، أفادت تقارير استخباراتية أمريكية بأن هناك "مؤشرات محدودة" على أن الأسد يرغب في التنحي، وربما يبحث عن "خروج آمن" للتخلي عن السلطة.

ورغم أن إدارة الرئيس الأمريكي، باراك أوباما، كررت مراراً، ومنذ بداية الأزمة السورية قبل ما يقرب من عامين، أن نظام الأسد يتهاوى، إلا أن مسؤولين أمريكيين اطلعوا على التقارير الاستخباراتية لتقييم الأوضاع الراهنة في سوريا، أبلغوا CNN بأن الأسد أصبح يعاني مشاكل متلاحقة داخل دائرة حكمه.

ووصف أحد هؤلاء المسؤولين، الذين تحدثوا لـCNN شريطة عدم الكشف عن هوياتهم، نظراً لأنهم غير مخولين بمناقشة المعلومات الاستخباراتية مع وسائل الإعلام، نظام الأسد بأنه "في أدنى مستوى له الآن."

وقال المسؤول نفسه، وهو على اطلاع مباشر بالتقارير الاستخباراتية الأخيرة حول تقييم الوضع الراهن في سوريا، إن الاستخبارات الأمريكية على يقين بأن المنحنى أخذ في الانحدار بشدة خلال الأسابيع القليلة الماضية، وأضاف بقوله إن "الأمور أصبحت تتحرك بسرعة أكثر مما كانت عليه في أي وقت من قبل.

# التذكير بالقرآن أساس الدعوة إلى الإسلام

**قال الله جلت حكمته : ﴿يوم تشقّق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير. نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾**

**فريد الأنصاري** رحمه الله تعالى

ويستمر الوصف للحظة البعث، وانطلاق الحشر ههنا في سورة «ق»؛ في لقطة حية تزيد المؤمن ثقة بربه، وتزوده مدداً إيمانيا لمواجهة أعدائه، فيقول جل جلاله تتمة لوصف يوم الحق :**﴿يوم تشقّق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير﴾**، وإنها لتشقق عنهم كما تشقق عن النبات، وعن رؤوس الفسائل الصغيرة، وقرئت «تشّقّقُ» بتضعيف الشين وبتخفيفها، والمقصود واحد. وفيها إيحاء لطيف بمشهد حركة الإنبات المتكررة على الأرض، كما بُيّنت في أول السورة، تربو الأرض أولا وتهتز، ثم تشقق فتخرج الشجيرات فسائل طرية ندية، فلا تزال تنمو حتى تصير أشجاراً! كذلك تخرج أجساد بني آدم من قبورها وأجداثها. وقد سبق حديث النبي ﷺ : «ثمّ ينزل الله من السّماء ماء فينبتون كما ينبت البقْل!»(1) حتى إذا تم خلقها واستوى، أُمر الملك بالنفخ في الصور، فتتدفق الأرواح من عالم البرزخ، كل روح يتنزل على جسده لا يخطئه ولا يضل عنه أبداً! وما هي إلا لمحة خاطفة؛ حتى تكون الحياة قد انتفضت في أجساد البشرية جميعاً! فيخرج الناس من ترابهم إلى ربهم سِراعا، يساقون إلى ساحة الحشر، وهم ينقلون الأقدام الحافية على الأرض مسرعين! وإنه لبعث يسير، وإنه لحشر يسير، يسير أمره وتكوينه على الخالق العظيم، الذي يقول للشيء : كن فيكون! هذا الأمر الذي ينكره الكفرة، ويحيله الجهلة بالله.. إنه أهون على الرحمن وأيسر، وكيف لا؟ وهو الذي خلق السماوات والأرض من قبل ولم يعْي بخلقهن، ولا بخلق من فيهن! خلق كل ذلك جميعاً ولم يكن شيئا مذكوراً. فسبحانه وتعالى عما يصفون ويتوهمون!

ويختم الرحمن جلت عظمته السورة بهذه الآية المنهاجية الجامعة : **﴿نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبّار فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد﴾** وهذه تسلية كريمة لرسول الله ﷺ وتوجيه منهاجي له ﷺ ولكل داعية إلى الخير بعده؛ إذ يخاطبه الرحمن جل ثناؤه بهذا الإعلام الكريم : **﴿نحن أعلم بما يقولون﴾**.

**وإن من قوة هذا القرآن أن الرب الجليل سبحانه، متكلم به مع رسوله ﷺ، ومع الناس أجمعين، يتكلم بضمير المتكلم الحاضر الدال على العظمة، هكذا (نحن). وتصغي - وأنت تتلو القرآن- إلى الله يخاطبك! فما أجله من مقام وما أعظمه من خطاب! هو الرحمن جل جلاله يعْلم عبده الداعي إليه بأنه أعلم بمقالات الكفار، وأعلم بترّهاتهم ومكائدهم! وكفى بهذه الحقيقة دلالة على أن كل مساعيهم الشريرة ستؤول إلى الخسران المبين، وإلى الفشل الذريع،** وأن كل مقولاتهم وأراجيفهم ستتحطم أمام سيل الحق الهادر! **فالله جل جلاله هو الذي يقود معركة الحق من فوق عرشه! وكفى بذلك طمأنينة وسكينة للقلب المؤمن، وكفي به دلالة على معرفة نتيجة المعركة الفاصلة، وكفى به زاداً إيمانياً عظيماً، يغذي القلب بوارد الثقة بالله!** ومن ثم يبين الرحمن سبحانه لرسوله ﷺ حقيقة هذه الرسالة الإلهية، وطبيعة هذه الدعوة الربانية، وطبيعة وظيفته إزاءها، وشكل مسؤوليته تجاهها، **وأنما هو عبدٌ مبلغ عن الله، يقيم حجة القرآن على الخلق، ويبين لهم حقائق الإيمان، وما عليهم من حقوق الخالق العظيم، ببلاغ قرآني مبين، لا إكراه فيه، ولا إعنات، ولا تجبر : ﴿وما أنت عليهم بجبّار...﴾**! كما قال سبحانه في سورة الغاشية : **﴿فذكّر إنما أنت مذكّر لست عليهم بمصيْطر﴾**(الغاشية : 21- 22).

**فدعوة الإسلام ليست دعوة إكراه، يتولاها طاغية جبار، فيقهر بها الناس قهراً، كما هو شأن كثير من الفلسفات والإيديولوجيات المظلمة، التي حكمت في العصر الحديث كثيراً من الشعوب المستضعفة بالحديد والنار! وسلطت على كل من خالفها زبانية التعذيب والتقتيل والتشريد! إن الإسلام دين رحمة، ودين قوة في نفس الوقت، يعرض عقيدته على الخلق بالحجة والبرهان. يخبر الناس بحقيقة الحياة الدنيا وطبيعة الوجود البشري فيها، ويعرف الخلق بخالقه، وبما له تعالى عليهم من حقوق الألوهية، ثم يكِلُهم إلى عقولهم واختياراتهم**، فمن اختار الشكر فقد سلِم وأسلم، ومن اختار الكفر فقد تمرد على الله؛ ولذلك خلق الله الجنة والنار. فما الرسول إذن إلا نذير مذكِّر، يُذكّر البشرية بهذا القرآن **﴿فذكر بالقرءان من يخاف وعيد﴾** ذلك أن كلمات القرءان إنما تقع موقع الإيمان من القلوب المشفقة من اليوم الآخر، ومن الفطَر السليمة التي تصغي إلى وعيد الله ونذيره؛ فتدرك أنه الحق، ولا تعميها الأهواء والشهوات عن الاستجابة لله ولرسوله، بل تدخل في أمان الإيمان طائعة راضية، وتعيش في سلام دائم مع الله.

**تلك هي طبيعة هذا الإسلام، وتلك هي دعوة هذا القرآن، فإنما هي كلمة الهدى يلقيها الداعي المبلغ في الناس، فمن آمن فقد أسلم لربه، ومن كفر فإنما على الرسول البلاغ، وحساب الآخرة غير بعيد. وإنما الهدى من الله وما ربك بظلام للعبيد.**

---

1- جزء حديث متفق عليه.

## قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....
الاشتراك السنوي (20 عددا) :
■ داخل المغرب : 60 درهما
■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها
ترسل الاشتراكات باسم :
● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم :
2111113412900014
أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :
**جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :**
**حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 -الدكارات**
**فاس -المغرب**

مواقف وأحوال

## محمد الطاهر بن عاشور ومحمد المنوني في مراكش

عذرا مراكش! عذرا أيتها المدينة الجميلة، والعاصمة الرائعة!.
عذرا أمير مراكش الناصح، ووليها الصالح: يوسف بن تاشفين!.
عذرا إمام مراكش الكبير، وحافظها الجليل، وفقيهها الذي لا يجارى، وعالمها الذي لا يبارى.

عذرا رجال مراكش السبعة، بل السبعين، بل السبعمائة بل أضعاف ذلك!.
عذرا مراكش: فأنت قلعة الرباط، ومركز الجهاد، ومدينة العلماء، وعاصمة الفقهاء، ومجمع الزهاد والعباد، وملتقى الأولياء والأصفياء!.
عذرا مراكش! فإن ما جرى ويجري على أرضك انتقام من تاريخك المجيد، وماضيك التليد، لكن ثقي أن عقودا من الشر لن تغلب قرونا من الخير، "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق".
عندما تطأ قدماي تربتك الطاهرة، وأرضك النقية، ينتابني شعور غريب، وإحساس عجيب، يحاصرني تاريخك الممتد المشرق، وأرى من بعيد صولاتك في العلم والجهاد، أرى العلم يتفجر في كل مسجد، ومن كل زقاق، أرى النخوة والرجولة والشهامة، أراها هناك هناك في العلياء مرفرفة بأجنحة بيضاء، تتحدث عن الأدلس وجنوب الصحراء، فأستصغر النفس، وأحتقر الواقع، وأشعر بالذنب، وأحس بالألم، وتدمع العين أسى وحسرة على ما آل إليه الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.
لعل بعض من يقرأ اعتذاري المتكرر لمراكش يتعجب أو يستغرب، ولعل آخر يقول: لقد أكثرت يا هذا، ولعل غير هؤلاء يقول شيئا آخر، لكل هؤلاء ولغيرهم أقول: لا تعجلوا علي، فإني ما أديت مراكش حقها ولا جزءا من ذلك، ولا تلومني، فقد كان من هو أعلم مني يقدر مراكش ويعرف فضلها خيرا مني، وهاكم موقفين دالين معبرين، لعالمين عظيمين، كانا بين أظهرنا إلى وقت قريب، أحدهما تونسي، هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والآخر مغربي هو الأستاذ الكبير محمد المنوني رحمهما الله تعالى، أخبرني بهما أحد الأحبة من أهل مراكش سماعا من الأستاذ أحمد متفكر.

■■ **موقف محمد الطاهر بن عاشور:**
كان العلامة الكبير محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله إذا حل بمدينة مراكش، يخلع حذاءه عند باب الجديد (المامونية) ويسير حافي القدمين إلى ضريح الفقيه الأجل، القاضي عياض رحمه الله، تعظيما وإجلالا له ولإخوانه من العلماء والصلحاء.

■■ **موقف العلامة محمد المنوني:**
وأن الأستاذ الكبير محمد المنوني رحمه الله كان يقول: أتمنى أن أموت بمراكش، وأدفن بعتبة الإمام أبي العباس السبتي، من باب قوله تعالى: وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد"!
فهل بلغت الرسالة؟ أم إن الأمر يحتاج إلى زيادة إيضاح وبيان؟
وعذرا مراكش!

**ذ. امحمد العمراوي**
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

# الدعاء والاستغفار وأثرهما في إصلاح الفرد والمجتمع

د. لخضر بوعلي

**قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى :«يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا للقيتك بقرابها مغفرة»(1)**

إن هذا الحديث القدسي يخبر الكريم من خلاله عن أهمية الدعاء والرجاء والاستغفار والإخلاص كأفعال يأتيها ابن آدم إلى جانب أهمية المغفرة التي ينبغي أن تكون هدفا يتغيّاه والتي يمنّ بها الغفار سبحانه.

إن الدعاء عبادة يعبر العبد من خلالها عن التواضع للرب الكبير المتعال جل جلاله لقوله تعالى : **﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾**(غافر : 60).

والعبد عندما يدعو الله تعالى ويتضرع إليه ويرفع إليه حاجاته وحاجات من يهمه أمره، ويلوذ به من كل مكروه واقع أو متوقع، يكون في الوضع الطبيعي للعبد، ويعبر عن حقائق لا حصر لها من أهمها:

- تعبيره عن الفقر والعجز واعترافه به
- توجيه الفقر -أي الافتقار- على ما ينفع عنده هذا الافتقار ولا ينتفع به لغناه المطلق.
- استغناؤه عن الخلق أجمعين لأنه وإياهم في الافتقار إلى الله سواء. قال تعالى : **﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾**(فاطر : 15).
- **إن الدعاء هو تعبير عن العلم بحقيقة الذات وما يعتورها من الفقر المستمر، كما أنه تعبير عن العلم بخالق هذه الذات وما يتصف به من الغنى والكرم.**

ومن هنا تظهر أهمية الصيغة التي ورد بها ذكر الدعاء والتي تفيد الاستمرار وعدم الانقطاع : «... إنك ما دعوتني...»،

إن الدعاء الذي يرفعه العبد إنما هو طلب من الله تعالى ما هو به أعلم، فالعليم لا ينتظر عبده "الجهول" ليخبره عن حاله وعن حاجته، لكن يحب أن يراه في هذا الموقع، ووجود العبد فيه توفيق من الله وفضل، أما ما يدعو به العبد فليس دائما صحيحا، فكم من عبد يسأل الله تعالى ما لا ينفعه بل يسأله ما يضره : **﴿ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولاً...﴾**(الاسراء : 11).

**ومن العيب أن يقصر العبد دعاءه وضراعته على أمور دنيوية لأن فقره أعمّ وفضل الله أوسع.**

**ومن سوء الأدب مع الله تعالى أن يراقب العبد هذا الطلب، فإذا لم يتحقق بالشكل الذي قدمه وفي الوقت الذي حدده، ساء ظنه باعتقاده أن الله تعالى لم يفعل شيئا في موضوعه.**

**إن الرجاء في الله تعالى ينبغي أن يكون قرين الدعاء بل سابق عليه ودافع إليه.**

**ومهما كان الطلب في عين العبد عظيما وفي تقديره مستحيلا، فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومهما تأخرت الاستجابة فإن الله تعالى لا يهمل طلبات عباده ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾(طه : 51).**

**والرجاء من هذه الزاوية حسن ظن بالله دال على حسن العلم به سبحانه.**

فهل يدرك العبد المؤمن هذه المعاني فيقترب من الكريم القائل : **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون﴾**(البقرة : 185).

إن الأجزاء الثلاثة للحديث جاءت فيها جملة جواب الشرط تتحدث عن مغفرة الله تعالى للعبد، وإذا كان الجزء الثاني من الحديث فيه قوله تعالى : «...ثم استغفرتني غفرت لك...» أي طلبت مني المغفرة، فكان مفهوما أن تكون الاستجابة وفق الطلب أي مغفرة، لكن الجزء الأول فيه دعاء عام : «إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك...» دون تقييد الدعاء بطلب المغفرة، كما أن الجزء الثالث يفيد أن عدم الإشراك بالله تعالى يستوجب مغفرته... ومن هنا تظهر أهمية المغفرة وشدة حاجة الناس إليها وتوجيه الحديث لكل المؤمنين أن يجعلوا همتهم في طلبها

الحديث عن موضوع الدعاء ثم الرجاء وكل واحد منهما دال على العلم بالله من جهة.

قال تعالى : **﴿ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها...﴾**(الأعراف : 180),

فالمؤمن يدعو الله تعالى بما سمى به نفسه من هذه الأسماء، يفهم معناها، يلتزم مقتضاها ولا يتعداها ولا يتخطاها،

عن أبي هريرة رضي الله عنه **أن النبي ﷺ قال: «لله تسعة وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة وإن الله وتر يحب الوتر». وفي رواية : «إن لله تسعة وتسعين اسما ,مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة»(2).**

وإشارة الحديثين الشريفين إلى الحفظ و الإحصاء لا يعني فقط استظهارها وإنما المقصود معرفتها والإيمان بها وفهم معناها والتخلق بها على قدر الطاقة البشرية والعمل على ما تقضيه هذه الأسماء فإذا كان الله تعالى رحيما وعليما وقادرا...فشأن المؤمن أن يتخلق بهذه الصفات وأن يحرص على طلب العلم النافع وأن يكون رحيما بخلق الله تعالى وأن يستعمل قدرته في خدمة الضعفاء ومن شأنه كذلك أن يؤثر علمه بهذه الأسماء في سلوكه فلا يأتي عملا محرما لأن الله تعالى يعلم ذلك ولا يهمّه أن يطّلع الناس على صالح أعماله مادام أن الله تعالى عليم به. كما أن قدرة الله تعالى المطلقة عندما يعلم بها فإنها تمنعه من الطغيان والاعتداء على غيره.

ومن هذا الأسماء التي يحتاج المؤمن إلى معرفتها والتي يركز هذا الحديث عليها هي صفة المغفرة وأن الكريم سمى نفسه الغافر كما في قوله تعالى : **﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول﴾**(غافر : 1) وسمى نفسه الغفور مبالغة منه سبحانه في المغفرة فقال جل شأنه: **﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾**(المزمل : 18) وسمى نفسه الغفار كما في قوله تعالى : **﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى...﴾**(طه : 80).

ثم إن الله الكريم لا يريد منا أن نخلد إلى الأرض بل يريد منا أن نرتقي إلى أعلى الدرجات وهذا بعض المراد من دعوة أهل الكتاب كما في قوله تعالى: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله﴾**(آل عمران : 63) وكذا في قوله : **﴿...ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض واتبع هواه...﴾**(الأعراف : 176).

وقد أخبر الكريم أنه رفع بعض عباده الصالحين كرما وتفضلا قال تعالى : **﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيئا ورفعناه مكانا عليا﴾**(مريم : 56- 57) وقال عن إبراهيم عليه السلام : **﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾**(الأنعام : 84) وقال سبحانه عن يوسف : **﴿نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾**(يوسف : 76). وقال تعالى في عموم الإنسان : **﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾**(الأنعام : 167).

إن هذه الأخبار -وهي كثيرة في الذكر الحكيم- فيها تحفيز على السعي نحو العلى وارتقاء أعلى الدرجات.

**إن إحساننا إلى الناس مهما بلغ فهو دون إحسان الله إلينا،**
**وأخطاء الناس في حقنا مهما عظمت فهي أقل من أخطائنا في حق الله تعالى،**
**فكيف نرجو أن يغفر الله لنا ولا نغفر لغيرنا؟**

وفي قوله تعالى : **﴿... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات...﴾**(المجادلة : 11) تنبيه إلى بعض أسباب الارتقاء : الإيمان و العلم، ومن هذين السببين تخرج المغفرة كوسيلة للارتقاء، وهي أيضا من الأسباب التي نستجلب بها مغفرة الله فينبغي للمؤمن أن يكون غفورا : **﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟﴾**(نور : 22).

إن المغفرة ليست تنازلا عن حق ولا عن كرامة كما يراها الكثير من الناس، بل هي التمسك بالحق ووضع حد للإساءة ولأثرها.

إن أخطأ شخص في حقك فاحذر أن تسبب مزيدا من الألم لنفسك بالتمسك بهذه الإساءة.

يعيِّرك الشخص المسيء يقول لك مرة واحدة : "أنت كذا..." فتقولها أنت لنفسك عشر سنوات، فتجد أنك أسأت إلى نفسك أكثر مما أساء إليك غيرك.

إن الشخص الذي أساء في حقك يكون -في الغالب- قد نسيك وما عاد يفكر فيك وفي أمرك.

أما أنت فيستحوذ الأمر عليك لسنوات تتسبب فيها بألم شديد لشخص واحد هو أنت.

في الحقيقة أنت تحسن إلى نفسك عندما تساعدها على المغفرة لمن أساء إليك.

في الحياة العائلية -بين الزوجين أو بين الوالدين والأولاد- وبين العاملين في مكان واحد وبين الجيران.. وكل ما يتيح الاجتماع والخلطة... يتساءل الإنسان كم ينبغي له أن يغفر من مرة؟

والجواب أن تكون مغفرتك أكثر من أخطاء الآخرين ألا تسمع لقول الله تعالى وهو يقول : **«يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم...»** ويقول جل في علاه: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾**(الزمر : 50).

**لأن عدم المغفرة يجعل الإنسان يركز على تسجيل الأخطاء والاحتفاظ بها ورعايتها وتربيتها وتنميتها... بدلا من أن ننمي الكفاءات والمهارات في أنفسنا وفي أهلينا، نحن ننمي الأخطاء التي نحفظها للأقربين والآخرين، تتحول إلى أحقاد وضغائن سوداء تقطع الأرحام وتجعل الناس يعيشون في بحار من الآلام، وتتحول إلى عوائق وعقبات تمنع من الخير وتوظف الطاقات وتنفق الأموال والأوقات في المكر والخداع والدس...وليس سبيل المؤمنين من هذا في شيء : ﴿وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾(الأنعام : 55).**

إن المرأة تغضب وتثور على زوجها كلما أخطأ في حقها وتذكره بكل الأخطاء التي ارتكبها في حقها منذ زواجهما...

ويغضب الأب من ابنه ويذكره بكل الأخطاء منذ كان صغيرا وكذلك الابن له مذكرة خاصة يحفظ فيها أخطاء أبيه ولكل فرد من محيطه مذكره خاصة...

إن الإنسان إذا تساءل : أين تحفظ كل هذه الأشياء القبيحة ؟ فإنه يدرك أنها كانت تحفظ في أعز مكان في جسده وهو قلبه، كان يحفظ هذه الأشياء في موضع نظر الله منه، كان يحفظها وكانت تنهش في صحته، وكلما أخطأ أحد الأقارب أضاف هذا الخطأ الجديد إلى لائحة من الأخطاء ظلت تنمو حتى صارت جبالا من المرارة والأحزان داخل القلوب... إن هذا الحديث القدسي العظيم يوجهنا إلى جانب من الخلق العظيم الذي ينبغي أن يتخلق به العبد المؤمن وهو المغفرة المستدامة.

إن من أهم ما يمنع المؤمن من المغفرة هو التركيز على ما يأتيه من العمل الصالح في مقابل التركيز على ما يرتكبه الآخر من الأخطاء، وإذا ما نظرنا إلى هذا المقياس في علاقتنا بربنا جل في علاه، لا نجده في صالحنا لو عاملنا الكريم به فقد قال : **﴿...وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار...﴾**(إبراهيم : 36) وقال : «...يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار...» ومع ذلك فقد قال لنا : **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾**(الزمر : 50).

**لا شك أن إحساننا إلى الناس مهما بلغ فهو دون إحسان الله إلينا وأخطاء الناس في حقنا مهما عظمت فهي أقل من أخطائنا في حق الله تعالى، فكيف نرجو أن يغفر الله لنا ولا نغفر لغيرنا؟**

قال تعال : **﴿ولا ياتل أولو الفضل منكم والسعة أن يوتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾**(النور : 22).

---

1- رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
2- رواه مسلم.

# حقوق الإنسان في الإسلام

**الخطبة الأولى**

.... أما بعد : **عباد الله :** لقد بات موضوع حقوق الإنسان حديث الساعة حتى غَدَا الاهتمام به واضحا من خلال عقد المؤتمرات والندوات، وإبرام المواثيق والاتفاقيات، وذلك من أجل معالجة جميع الجوانب والظروف والحَيثيات التي تسهم في تعزيز حقوق الإنسان، وتهيئ السبل الكفيلة لحمايتها.

وقد أصبح معروفا أن تطبيق حقوق الإنسان يُعَدّ معيارا لمعرفة مدى التزام دولة ما بمبادئ العدل والإنصاف وحماية حقوق مُواطنيها وحرياتهم، كما أنه يُعَدّ أداة لقياس مدى إدراك ووعي تلك الشعوب بالتمتع بها. بل إن أهم عنصر في الأنظمة الديمقراطية – كما يقولون– هو رعاية حقوق الإنسان.

وأيّاً كانت أسباب ودوافع الاهتمام بحقوق الإنسان، فإنه يبقى للتشريع الإسلامي رونقه ووضوحه وعمقه وأصالته، لأنه ينطلق في تحليله لحقوق الإنسان من الشريعة الإلهية الربانية، بدليل قوله تعالى: ﴿وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم﴾ والتاريخ الذي لا يحابي أحدا، ولا يكذب على أحد، يشهد لواقعية الإسلام في كيفية تعامله مع حقوق الإنسان.

ولا جرم أن المجتمع الإنساني اليوم حين أبعد شرع الله وتعاليم الإسلام، واستظل بظل النظم الوضعية، فقدْ ضيّع السند والنظام الذي يحمي تلك الحقوق ويُبقيها دون تَعَرّضٍ للتآكل. ولا أدلَّ على ما نقول من أن حقوقَ الإنسان لم توضع قطّ موضع التنفيذ في تاريخ الإنسانية إلا حين جاء الإسلام وانتشر الوعي الإنساني بين أفراد الأمة الإسلامية، فتأصلت هذه الحقوق ورسخت بين مختلف الطبقات الاجتماعية ولم يعد هناك أي مجال للتشكيك فيها، ولم يخضع أي مبدإ من مبادئها للنقاش، خاصة وأن رسول الله ﷺ وخلفاءَه الراشدين، والرعيل الأول من المؤمنين والصادقين، قد جسدوا تلك الحقوق السامية في سيرهم، فَغَدَوْا النموذجَ المثالي والدائم للمسلمين وغيرهم، في تطبيقها ومراعاتها.

**عباد الله:** إن حقوق الإنسان في الإسلام قد تميزت بمجموعة من الخصائص والسمات حيث قامت على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة امتثالا لقول الله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون﴾، فلا شريك لله عز وجل في حكمه وملكه، بل هو وحده الذي يُعبَد بحق، وهو وحده الذي يقصده القاصدون، ويلجأ إليه اللاجئون، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، فلا يُعبد إلا هو ولا يُستعان إلا به، وهو الذي يُعز ويُذل، ويعطي ويمنع، وما من شيء في الارض ولا في السماء إلا وهو في علمه، وعلى عينه، وتحت قدرته، وفي متناول قبضته، فالسيادة التامة والحكم المطلق لله عز وجل، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين﴾، وقوله تعالى: ﴿ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾.

هذا السمو في فهم الوحدانية كان له أثر كبير في رفع مستوى الإنسان وتحرير الشعوب من طغيان الطغاة وتجبّر الأقوياء على الضعفاء، وهذه الوحدة في العقيدة تطبع كل الأسس والنظم التي جاءت بها حضارة الإسلام، فهناك الوحدة في الرسالة، وهناك الوحدة في التشريع، وهناك الوحدة في الغاية، وهناك الوحدة في الكيان الإنساني العام، وهناك الوحدة في وسائل العيش، والوحدة في أساليب التفكير والتدبير، وهناك الوحدة في القيم الفردية والنظم المجتمعية، وكل ذلك أساسه الوحدة في المنطلق والوحدة في المصدر والمرجع.

ولنا بهذه المناسبة أن نتساءل: أين مفهوم الوحدة في شتى مجالات حياتنا اليوم؟

لقد احتال علينا الغرب فانتزع منا وحدتنا انتزاعا ليجعلها أساسا متينا لبناء مجتمعه الإنساني، وصدَّر لنا عوضها مفاهيم مخالفة ومغلوطة لا تزيد المجتمع إلا تفرقا وتشتيتا وتمزيقا.

وثاني الخصائص والسمات التي تميز حقوق الإنسان في الإسلام أنها إنسانية النزعة والهدف، عالَمية الأفق والرسالة، وذلك واضح وملموس فيما أعلنه القرآن الكريم عن وحدة النوع الإنساني رغم اختلاف الألوان والأجناس في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، فانتقلت الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية والتفرقة إلى أجواء الحب والتآلف، والتسامح والتعاون، بدليل قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾، وقوله ﷺ : «أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمُنّ أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة»، وانتقلت الإنسانية كذلك من التمايز والتفاضل على أساس الطبقية والعصبية والانتماء العرقي إلى التساوي أمام الله عز وجل، وأمام القانون، تساويا لا أثر فيه لاستعلاء عرق على عرق أو فئة على فئة، أو أمة على أمة إلا على أساس شرعي، بدليل قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، وقوله ﷺ : «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى». وموقفه ﷺ من القوم الذين جاؤوا يستشفعون عنده للمرأة التي سرقت حتى لا يُقام عليها الحدّ وتنال العقوبة اللازمة، فكان ردّه ﷺ : «والذي نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها».

ولقد كانت مضامين خطبة حَجة الوداع إعلانا صريحا من حبيب الحق وسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ لأول ميثاق لحقوق الإنسان في تاريخ البشرية جمعاء حينما ارتفع صوته ﷺ أمام الجموع الغفيرة من المسلمين في مشهد عظيم وموقف جليل، ومنها قوله ﷺ : «أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم» ومنها قوله: «إن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا».

**عباد الله:** تأملوا هذا الكلام من خطبة رسول الله ﷺ ، وكلكم يسمع بالقولة المشهورة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»، وقارنوا بين كلام رسول الله ﷺ وكلام عمر رضي الله عنه من جهة، وبين ما جاء به الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من جهة أخرى حيث ورد فيه : (يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وُهبوا عقلا وضميرا، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء)، إن هذا النص لَم يأت بجديد، وإنما يزيد القارئ تأكيدا على أن ما جاء به الإسلام قد كان أعظم رافد من روافد إقرار الحقوق الإنسانية التي نهلت منها المجتمعات الغربية.

وعجبا أن تكون المبادئ التي طالما صدّرها المسلمون للناس كافة عبر العصور، يُعاد تصديرها إليهم على أنها اكتشاف

ذ. إدريس اليوبي

إنساني جديد من صنع الغرب وإنتاجه، ونحن –المسلمين– نملك تراثا مليئا بالمبادئ الرفيعة والمثل العليا، ونخشى أن يأتي علينا يوم يصدر فيه الغرب إلينا أن غسل الوجوه والأيدي والأقدام هو نظافة إنسانية للأبدان، فإذا قلنا ذاك هو الوضوء الذي نعرفه في ديننا وشريعتنا، اتهمونا بالتعصب والتخلف والتطرف ورفض التقدم العلمي ورفض الآخر والتعايش معه، وأرغمونا على الاعتراف بأن ما يمليه علينا الآخر هو الصواب.

فاللهم ألهمنا رشدنا وفقهنا في ديننا وأصلح لنا أحوالنا ويسر لنا أمورنا وتقبل منا صالح أعمالنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ويرحم الله عبدا قال آمين.

**الخطبة الثانية**

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه

إن من مزايا الإسلام وخصائصه أنه يؤسس التكاليف الشرعية على أمرين هامين هما: الحقوق والواجبات، فالإسلام يقرر أن للإنسان حقوقا تُرعى، كما أن عليه واجبات تُؤدى، وكل واجب يقابله حق، كما أن كل حق يقابله واجب، وحق كل إنسان هو واجب على غيره أو على نفسه، فحق الأولاد في الرعاية هو واجب على الآباء والأمهات، وحق الآباء والأمهات في الطاعة والامتثال، وفي البر والإحسان، هو واجب على الأبناء، ولما أقر الإسلام حق الآباء في الإكرام والرعاية عند العجز أو الكبر والشيخوخة بيَّنه على شكل واجبات مفروضة على الأبناء، ليكون ذلك أشد وقعا على من فُرض عليه الواجب حتى يحرص على أدائه، دون أن يشقى صاحب الحق في المطالبة بحقه، قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾، وكذلك حينما أقر حق الفقراء والمساكين وذوي الحاجة في كفايتهم من العيش فرض ذلك على أنه واجب على الأغنياء والميسورين، قال تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق للسائل والمحروم﴾، وهكذا أقر الإسلام حقوق الإنسان وأمر بالمحافظة عليها، وجعلها واجبات وفرائض ضمانا لتحقيقها، لأن حق الإنسان يمكن أن يتنازل عنه، ولكن واجبه المفروض عليه يلزمه أن يراعيه وأن يقوم به دون إهمال أو نسيان أو تفريط، وهذا هو الفرق البيّن الواضح بين فلسفة الإسلام في إقرار الحقوق، وبين غيره من القوانين الوضعية في ذلك، فالتعليم مثلا هو عند الغرب حق للفرد، ومعناه أن هذا الفرد له أن يتعلم وله أن لا يتعلم، ولكنه في الإسلام فرض وواجب، ومعناه أنه يلزمه التعلم، بدليل قول رسول الله ﷺ : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، ثم إن الأولى أن كل من تعلم شيئا يلزمه أن يُعلمه لغيره، بدليل قوله ﷺ : «لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه، ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله». وتوجيه المخطئ والمنحرف عند الغرب حق، وفي الإسلام واجب، ويدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق. ومقاومة الظلم حق من الحقوق التي

تتمة : ص 11

## إشراقة

# استحباب مدح الطعام والنهي عن ذمه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «ما عاب رسول الله ﷺ طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»(متفق عليه).

قال ابن بطال رحمه الله تعالى : "هذا من حسن الأدب مع الله تعالى، لأنه إذا عاب المرء ما كر هه من الطعام فقد رد على الله رزقه، وقد يكره بعض الناس من الطعام ما لا يكرهه غيرهم، ونعم الله لا تعاب، وإنما يجب الشكر عليها، لأنه لا يجبُ لنا عليه شيء منها، بلَ هو متفضل في إعطائه عادل في منه"(1).

وقيل : إن كان العيب من جهة الخلقة كره، وإن كان من جهة الصنعة لم يكره، لأن صنعة الله لا تعاب، وصنعة الآدميين تعاب.

قوله : «إن اشتهاه أكله وإن كرهه» أي إذا تقززت نفسه منه ولم يقبله بطبعه كما فعل في الضب "تركه" وما عاب أبدا.

واستحباب مدحه تطييبا لخاطر من تعب في إعداده وإحضاره، ولا يكسر قلبه بعيبه وذمه. وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل أهله الأُدُم فقالوا : ما عندنا إلا خل. فدعا به، فجعل يأكل ويقول : «نعم الأُدُم الخلُّ نعم الأدم الخل»(رواه مسلم).

قال جابر رضي الله عنه : «فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من رسول الله ﷺ وهذا من حسن التأسي عند الصحابة إذ الخل طعام في منتهى التواضع، قال الخطابي رحمه الله تعالى : معناه مدح الإقلال في المأكل ومنع النفس عن ملاذّ الأطعمة، تقديره ائتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مؤنته، ولا يعزّ وجوده.

وهذا فهم جيد لأن النبي ﷺ عندما سأل أهله الإدام قالوا : ما عندما إلا خل، استصغروا شأنه، لكن النبي ﷺ مدحه ودعا به.

قال أهل اللغة : الإدام بكسر الهمزة ما يؤتدم به يقال : أدم الخبز يأدمه بكسر الدال.

---

1- شرح ابن بطال 506/9.

ذ. عبد الحميد صدوق

# تجارب الإصلاح الإسلامي المعاصر في التدبير التربوي

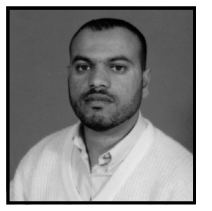

ذ. عبد المجيد بلبصير

كان ديدن رواد الإصلاح في العالم الإسلامي المعاصر تدبير الإصلاح التربوي، بعد أن عدوه أو كاد، روح الإصلاح الاجتماعي، وذلك بين دفتي التأصيل لمناهجه بأجود ما صدر عن الذات، والتكميل لمقولاته بأنفع ما وفد عليها، وهكذا سعى الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله، بعد أن "صرح في كثير من أقواله وكتاباته بعيب التعليم الأزهري ومناهجه"(1) آنذاك، وبمبادرة

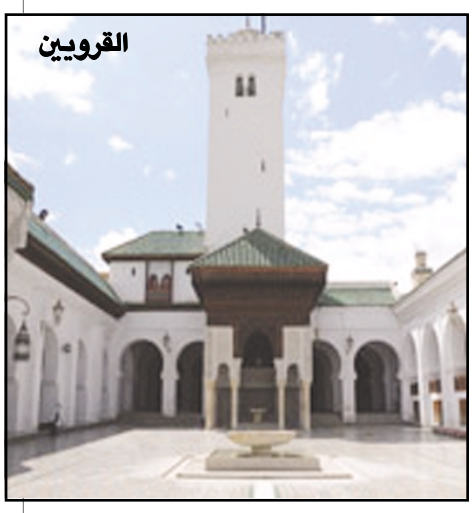
القرويين

منه شخصيا، إلى الجمع بين الحسنيين، فكان رحمه الله "يدرس في داره لبعض المجاورين كتاب "تهذيب الأخلاق" لابن مسكويه، وكتاب "التحفة الأدبية في تاريخ تمدن الممالك الأوربية" تأليف الوزير فرانسو جيزو، وتعريب الخواجة نعمة الله الخوري"(1) حتى إذا دخل حينها مجلس إدارة الأزهر، حيث كان أعظم عامل فيه، أسهم رسميا و بحظ وافر في تقدم الجامع، بما جدد فيه من علوم ومعارف، وأنعش من نفوس ومواقف. يقول الشيخ محمد الحجوي الثعالبي في ترجمة الشيخ حسونة النواوي، شيخ الأزهر ورئيس مجلس إدارته آنئذ "أسس مجلسا لإدارتها، وكان من جملة أعضائه الشيخ محمد عبده، الذي كان أكبر عامل فيه، وسن قانونا آخر لإدارته وانتظامه وكيفية التعليم فيه، ونظام المدرسين والمتعلمين، وكيفية الامتحان وغير ذلك، مما أدخل الأزهر في صف الكليات العظيمة، ذات النظام المعتبر، ورقاها إلى أوج الفلاح، وأدخل علوما عصرية للأزهر لم تكن تدرس فيها من قبل كالتاريخ والجغرافيا وغيرها... فتقدمت الأزهر والعلوم الإسلامية في أيامه تقدما عظيما بإعانة محمد عبده المذكور"(2) على أن ما نسب الشيخ الحجوي للأستاذ الإمام من أعمال في المجلس على سبيل الإعانة، سرعان ما استدركه في ترجمته بقوله "وكان في الحقيقة هو مديره تحت رياسة الشيخ حسونة السابق... وبذلك تسنى للأزهر أن يصير لما هو عليه الآن"(3) أي إلى حوالي الخمسينيات من القرن الميلادي الماضي فيما يبدو.

ثم كانت رحلة الأستاذ الإمام فيما كان إلى تونس مرتين، كان في أولاهما متفقدا للأحوال، وفي الثانية متعهدا للأعمال، إذ صادف فيهما نخبة إصلاحية من علماء تونس الأكابر، من أمثال العلامة سالم بوحاجب رحمه الله، فتواردت الخواطر على الحق في سبيل الإصلاح الاجتماعي، ووقع الحافر على الحافر مصيبا محز الاتجاه إلى الفلاح التربوي، وكان من أطيب غراس الرحلتين محاضرة قيمة للأستاذ محمد عبده، من على منبر الجمعية الخلدونية، الواقع مقرها آنذاك قبالة جامع الزيتونة(4) حيث كانت تعرض فيها أنشطة موازية لبرنامج التعليم في الجامع، كان من أهمها دروس في مبادئ العلوم التكميلية نحو التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة. وقد حرص حينها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، الذي لقبه الأستاذ الإمام بسفير الدعوة الإسلامية في تونس، على أن يدون بدقة ما ورد في المحاضرة من آراء إصلاحية علمية واجتماعية وتربوية(5) ليبني عليها فيما بعد مشروعه الإصلاحي التربوي، موسعا مباحثه بالانفتاح على كل نافع جديد، ومؤصلا لبناته ذلك التأصيل الفريد، فضمن ذلك كله كتابه الفذ عن التعليم العربي الإسلامي "أليس الصبح بقريب" الذي صدرت طبعته الثالثة عام 1431هـ/2010م بنشر مشترك من قبل دار سحنون التونسية ودار السلام المصرية.

والمتصفح للكتاب يجد في صلبه صيدلية تربوية صالحة أدويتها لعلاج كثير من آفات الواقع التربوي اليوم، على النحو الذي عالج به الشيخ ابن عاشور وقتها أدواء التعليم الزيتوني بعد أن آلت إليه رسميا مشيخة الجامع، وذلك سنة 1351ه/1932م إذ عرض فيه فيما عرض بما يشبه الاستقراء مواطن الخلل التي أصابت مناهج التعليم في عصور الانحطاط، من نحو انعدام الخطة التربوية المتطورة، وإهمال الضبط، والبعد عن التربية الأصيلة، هذا مع نقد دقيق لمستويات التعليم وأحوال التلامذة، تجلت أعظم معالمه في غياب الحفظ في مرحلة الابتدائي، وإهمال

الأزهر

التمرين والعمل بالمعلومات في الثانوي، وغياب ملكة النقد في العالي، والجري وراء الشهادة من غير تحصيل علمي، إضافة إلى عدم مراعاة المصالح الصحية للطلاب(6).

كما عرض فيه على سبيل الوصف صورة وافية عن واقع التعليم في عصره، حيث رصد أحوال الدروس ومدرسيها، ثم أحوال التلامذة والفنون والتآليف، متتبعا ما لحقها جميعها من العوار والأضرار، مع تفصيل دقيق لأسباب تأخر العلوم المتداولة مما كان يشكل آنذاك صلب البناء المعرفي في برنامج التعليم الزيتوني، وهي العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وكلام وأصولهما، مضافا إليها علوم العربية والمنطق والتاريخ والفلسفة. وقد نبه إثر ذلك على وجوه إصلاحها وما يقوم به أودها، فأبان، كما ورد ظهر الدفة الأخيرة من الكتاب، "عن نظرة استشرافية منيرة، وإحاطة وفهم للشريعة والواقع، فخط بذلك للأمة الإسلامية طريقا للنهوض والإصلاح، ورسم لها منهجا قويما للنمو والفلاح".

هذا وقد شاء سبحانه أن يرسل رياح الإصلاح التربوي لواقح للهمم القعساء بالمغرب الأقصى، إذ في الوقت الذي شرع فيه في إصلاح الأزهر، وإثر قدوم الشيخ محمد عبده إلى تونس عام 1331هـ/1913م، بذل الشيخ محمد الحجوي الثعالبي رحمه الله جهودا تذكر فتشكر في سبيل إصلاح القرويين، حيث كان أول نائب للصدارة العظمى في المعارف والتعليم سنة 1330هـ/1912م، وكان أول ما أهمه -فيما ذكر- أمر القرويين، فعمل على استصدار أمر شريف من قبل السلطان يوسف بن الحسن عام 1332هـ/1914م يقضي بإدخال نظام ينهض بالجامع بعد أن كان شبه جامعة شعبية ينبني فيها سير الدروس على التطوع من غير ترتيب، مما أدى لاحقا إلى تعطيل الدرس بسبب انشغال جل المدرسين بحرف يسدون بها رمق النفس.

وهكذا وفق رحمه الله بعد الاجتماع في نفس العام بعلماء فاس الأعلام إلى تأسيس "مجلس العلماء التحسيني للقرويين" بطريق الانتخاب، وهو بالمناسبة أول مجلس علمي بفاس العامرة تولى رئاسته العلامة الحجوي الثعالبي إلى حين وفاته رحمه الله سنة 1956م وقد خرجت مداولات المجلس التحسيني بمشروع إصلاحي رائد للجامع، مكون من مائة مادة ومادتين مقسمة على عشرة أقسام، تناولت فيما تناولت بعد نظام المجلس الأساسي ضابط العالمية وامتحان طالبيها، وضابط التدريس وامتحان التلاميذ، وتنظيم طبقاتهم ابتدائية وثانوية وعالية، وضابط التآليف الدراسية والأمور التأديبية والتقاعد، ونظام العطل والرخص..

والخلاصة أن المشروع كما سبق نموذج رائد في التدبير التربوي، لولا أن العمل كان دون الأمل، إذ لم يتسن للمجلس التحسيني تنزيله وتحقيقه، بسبب التواء الأغراض المودي بكل مشروع وليد إلى الإجهاض. يقول الشيخ محمد الحجوي" وأقول من غير تمدح أو تبجح: إن ذلك القانون لو خرج من حيز الخيال إلى حيز الإعمال لكان محييا

الزيتونة

للقرويين، مجددا لهيآتها التدريسية تجديدا صحيحا متينا، إذ ليس له مرمى سوى ترميم ما انهار من هيكلها المشمخر، باعثا لعلوم وفنون من أجداثها كان الإهمال أخفاها، وتطاول الأزمان عفاها... سائقا لمن تمسك به إلى العروج بذلك المعهد الخطير إلى مستوى نظامي عصري ديني، به يبلغ العلم والدين والثقافة أوج الكمال والفخار، ولكن مع الأسف المكدر تداخل في القضية ذوو الأغراض الشخصية، فبينما نحن نبني ونصلح ونرمم بفاس، وقد شرعوا في الهدم والتخريب في الرباط بغير فاس، وما كدنا نختم القانون المشار إليه حتى صدر أمر شريف برجوعنا.."(7).

وبعد، فهذه نتف عن نماذج راقية من مشاريع التدبير التربوي، متحدة الحال والزمان بجامع ضعف السلطان واحتلال الأوطان، متفاوتة المكان والإنسان بتفاوت البيئات والحاجات والقدرات، ولئن قطع وصلها بما يمنع من الإكمال والانتفاع، فعسى أن يوصل رحمها بحبل البحث والاطلاع، وذلك رصدا للمؤتلف والمختلف فيها على المستوى التعليمي و"البيداغوجي"، واستثمارا لما به حل المشكلات وتبديد الأزمات اليوم على المستوى التربوي والحضاري.

---

1- ينظر ترجمة الإمام محمد عبده في كتاب "أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث" للعلامة أحمد تيمور بك من 148 على 151. الطبعة الأولى 1387ه ñ 1967م. لجنة المؤلفات التيمورية.

2- الفكر السامي فس تاريخ الفقه الإسلامي. القسم الرابع ص224 الطبعة الأولى 1416ه/1995م دارالكتب العلمية.

3- نفسه 233.

4- ينظر "أليس الصبح بقريب"94.

5- ينظر شيخ الجامع الأعظم للدكتور بلقاسم الغالي 187-186.

6- ينظر المرجع السابق 188 إلى 195.

7- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. القسم الرابع 228 وينظر ما قبلها وما بعدها.

# حاجة الأمة إلى السيرة السنة(*)

د. الشاهد البوشيخي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا، اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما، اللهم افتح لنا أبواب الرحمة وأنطقنا بالحكمة واجعلنا من الراشدين فضلا منك ونعمة.

أيها الحضور الكريم، عنوان هذه الكلمة : حاجة الأمة إلى ا لسيرة السنة، ومدارها على خمس نقط :

1- مقدمة في موجبات العناية بالسيرة اليوم
2- مفهوم السيرة السنة
3- لِمَ لَمْ تكتَب السيرة السنة
4- هل يمكن كتابة السيرة السنة
5- خاتمة في وجوب الشروع في مشروع السيرة السنة.

## في موجبات العناية بالسيرة

**أيها الأحبة** ، الأمة منذ نحو قرن تمر بظرف عصيب وسيستمر مدة، ولكن العاقبة حميدة إن شاء الله تعالى وما يحدث هو بَشَائِرُ للتمكين القادم إن شاء الله تعالى، ولم تكن الأمة في ظرف من ظروفها التي مرت بحاجة إلى ما أسْمَيْتُه بالسيرة السُّنَّة كما هي بحاجة اليوم، لأنها وصلت في علاقتها بالإسلام إلى حد خرج الإسلام فيها من مرجعية الأمة من الناحية الواقعيَّة، وعَوَّضت المرجعيةُ الأوروبية البشريةُ مرجعيةَ الوحي في جميع شؤون الأمة تقريبا، والأمة نَفْسُها إنما نَنْطق بها اليوم مجازًا وإلا فلا (أَمٌّ يُؤَمُّ) ولا إمَام يَؤُم ولا وُجود لِلْجَمْع كُلّه مأموما من إمَامٍ يَؤُمُّ قَصْدًا موحّدًا، يقوم على الوحي، هذا لا وجود له في العالم الاسلامي اليوم، وإنما قِطَعُ غيارٍ متناثرة في أماكن شتى من العالم، وبقايا من هذه الأمة.

لكن لا تزال طائفةٌ ولن تزول ولن تنتهي -كما قال ﷺ- حتى تقوم الساعة، والحق حجتُه باقية في الأرض، قد يضعف ولكنه لا يزول ولن يزول.

وما يحدث الآن هو بمثابة سماد للحق، وبمثابة تقوية لهذا الحق، وجعله ينطلق على أساس متين ويعيد بناء الانسان بناء جديدا، يشابه من جوانب متعددة المسلم الأول في الجيل الراشد، في خَيِّر القرون، لكن لن يبلغ ذلك مسلمو اليوم إلا بعد بَلاء عظيم يُمَحَّصون فيه تمحيصًا، بأشكال مختلفة من البلاء ولكن في ذلك الخير كل الخير للأفراد وللأمة في النهاية.

وما نسميه بالسيرة النبوية فيه السِّرُّ ولكنه لم يُعَدَّ الإعْدادَ العلميَّ قَبْلُ ليحُلَّ الإشكال بسرعة بَعْدُ، من ثَمَّ يمكن تلخيص الموجبات اليوم باختصار في ثلاثة :

1- **الحاجة العامة للبشرية إلى النموذج الكامل في الآدمية**، ليس في الإنسانية، بل في الآدمية، لأن أغلب ذكر الإنسان في القرآن يأتي في سياق الشَّرّ، وفي سياق الذّم، والحالات التي ذكر فيها الإنسان في القرآن في سياق المدح قليلة جدا، فنحن أبناء آدم النبي.

**حاجةُ البشرية اليوم إلى نموذج ابن آدم المثاليِّ الكامل، حاجةٌ قوية جدا اليوم، لأن صورة المسلم ما عادت موجودة على الوجه الصحيح في الكرة الأرضية، وصورة غير المسلم أشْكَالٌ من التشوه للآدمية، والبشريةُ تتخبَّط والمسؤولُ الأول هم مَنْ يُسَمَّوْن بالمسلمين، لأنهم حَجَبُوا عن الناس الحقَّ بأشكال متعددة من الحجْب سواء في الفهم السَّيِّئ أم في الممارسة السَّيئة، أم في التديُّن البالغ السوء، منعوا الناس من رؤية الحق في الصورة البهية الشهية.**

**والحاجة إلى السيرة النبوية الصحيحة الشاملة الكاملة حاجة قوية لتحل هذا الإشكال للبشرية اليوم، لتحلُّه عندنا نحن أولا، ثم لتحلَّه عند غيرنا ثانيا.**

2- **حاجة الأمة إلى المنهاج الأمثل للخروج من الظلمات إلى النور**، ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور، نحن مازلنا لم نستطيع الإخْرَاج، ويوم نَخْرُج نَسْتطيع الإخْرَاجَ بإذن الله تعالى.

السيرة فيها السِّرُّ -وأعيد هذه الكلمة-، السيرة النبوية الصحيحة الكاملة الشاملة طبعا -فيها السِّرُّ-.

3- **حاجة العلماء إلى سيرة صحيحة شاملة كاملة يَرَوْنَها.**

نَزَل كتابُ الله عز وجل وجُمِعَ وصَار في مصحف، ثم جُمِعَت سنَةُ رسول الله ﷺ على مراحلَ، ثمَ بدأ جَمْعُ السيرة، قصّة رسول الله ﷺ...

فالعناية تدرجت حسب هذا السُّلَّم، العنايةُ بكتاب الله عز وجل أولا، له الصَّدارة ولذلك بين أيدينا كتاب الله عز وجل بالتواتر اللفظي، ثم هناك بعد ذلك العنايةُ بسنة رسول الله ﷺ ومن بعدها العناية بسيرته، ولم تَحْظَ بمستوى العناية التي حَظِيت بها سنتهُ ﷺ، فليس بين أيدينا في موضوع السيرة ما يشبه صحيحي البخاري ومسلم، فالحاجة العلميَّة، إلى جانب الحاجة الحضاريَّة هي لهذه الأمة إلى جانب الحاجة العامة للبشرية، كُلُّها من الموجبات التي تدفع أهلَ الغَيْرة دفعا إلى أن يَنْخَرطوا في المشروع انخراطًا كلّيا لإنجاز السِّيرة السُّنة.

## ما المقصود بالسيرة السنة؟

السيرة فعْلَة من السيْر، اسم هيئة، أي الكيفية التي تم عليها السَّيْر، أي الحالة التي كان عليها السيْر، وهي ها هنا بالنسبة للرسول ﷺ قصَّتُه ﷺ كقصة بقية الأنبياء، ونحن عندما نلتمسُ ما أسَمِّيه بالهدى المنهاجي في هذا الدين، نلتمسه أولا في القصص القرآني، أي في سير ﴿أُولَئِكَ الذين هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(الأنعام : 90)، أي سيَرُ الرسل والأنبياء ﷺ، فهناك منهاج إخراج الناس من الظلمات إلى النور كامن، وقد اقتدى به الرسول ﷺ كما أمره الله عز وجل في عدة مناسبات واضحة جدا :

- في مناسبة فتح مكة، أقول ما قال أخي يوسف : ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾(يوسف : 92).
- في مناسبة بيعة العقبة ﴿واخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾(الأعراف : 155).

**ما أقْصِدُه بالسِّيرة السُّنة، أي السيرة التي تُمَثِّل السنة، لكن بصورة زمنيَّةٍ في صورة مرتبطةٍ بالمكان، والزمان في شِقٍّ تاريخيٍّ دقيق، كُلُّ حادثة بعد التي تليها بالضبط، أيُّ نص من النصوص الواردة ينبغي أن نلتمس له بدقة مكانَه في النسق التاريخي لزمن السيرة، لنحصل في النهاية على هذه القصة الكاملة النموذجية لأكمل نبي وأعظم رسول.**

**في مناسبات متعددة ائتسى ﷺ بما قُصَّ عليه في القصص القرآني ﴿وكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ من أنْبَاء الرُّسُل مَا نُثَبِّتُ به فُؤَادَكَ﴾(هود : 120).**

**لكن القصة الأكبر والأضخم والتي تمثل النموذج الأكبر للتجربة الأعظم، التجربة الخاتمة، الكاملة، الشاملة، التجربة التي لم تقتصر على مرحلة بعينها من حياة الإنسان الفرد أو حياة الإنسان الجماعة، ولكن تجربةٌ كاملةٌ لإخراج أمة بكاملها من الظُّلُمات إلى النور، وتأسيس أساس للبشريَّة حتى قيام الساعة تسترشدُ به وتستهدي به.**

هذه التجربة أين نجدها موثقة؟.

في سيرة ابن إسحاق وابن هشام، في المغازي، في الكتب المختلفة للسيرة، لكن بهذا المعنى الذي أتحدث عنه لا نَجِدُها، بمعنى أن كُلَّ ما فيها صحيح، ولا تَقْتَصر على جانب بعينه من أمر رسول الله ﷺ وسُننه وأيامه، بل تشمل كُل ذلك، منذ ولد ﷺ وذلك يدخل في منهاج الإعداد، حيث أُعِدَّ ثلثي الوقت ليُنْجز ويُنفذ في ثُلُثَ الوقت : أربعون سنة من الإعداد وعِشْرون سنة من الإنجاز.

توجد نصوص كثيرة صحيحة صريحة بأن عمر النبي ﷺ ستون سنة، أربعون منها قبل البعثة وعشرون بعدها، عشرة بمكة وعشر بالمدينة، وهناك المعروف والمشهور ثلاث وستون سنة على أساس أن الثلاث هي مرحلة الدعوة السرية وعشْرٌ للصَّدْع بالدعوة بمكة، وعشْرٌ للصَّدْع بالدعوة بالمدينة.

إذن هذا النموذج بكامله من أوَّله إلى آخره هو قصةٌ، ولنا نموذج في القصص القرآني قصة موسى عليه السلام، بدأ حديثُ صُنْع الله له وعلى عينه وهو في بطْن أمه في وقت مبكر في سورة القصص، وسورة طه اهتمت بالقسم الثاني وسورة الأعراف بنهاية القصة. هذه السور بهذا الترتيب كافية لرؤية قصة موسى عليه السلام منذ ولد إلى أن صار إلى ما صار إليه مع قومه.

فسيرة صحيحة شاملة كاملة له ﷺ لا نملكها اليوم، والسنة الموجودة الآن في الكتب والتي تحتاج هي نفسها إلى أن يجتهد أهل الحديث وعلماؤه ويؤسسوا مجمعًا حديثيًّا عالميا كمجمع الفقه لإخراج مدونة الحديث الصحيح مرتبة مصنفة، وكل الكتب تدخل في الحساب بعد غربلتها عبر شورى علمية من ذوي الاختصاص في كتاب جا مع، وتبقى الكتب القديمة في محلها، ولا يستَغْني عنها ذوو الاختصاص، لكن الأمة في مرحلة الاستئناف الحضاري الآن، والعَوْدة إلى التاريخ في حاجة إلى أن تواجه شيئًا واحدًا واضحا قد خرج من أيدي العلماء بالشورى العلميَّة.

هذه السنة الموجودة الآن في الصحيحين وفي غيرهما إذا أعطيتُ بعض الفرْق البسيط للتوضيح بينها وبين السيرة قلت : هناك النظرة الأُفُقية للدين، وهناك النظرة العَمُودية، هناك النظرة الموضوعيَّة وهناك النظرة الزمنيَّة التاريخية، القرآن أول ما نزل، نزل منجَّما مفرَّقا ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾(الإسراء : 106). ثم جُمع في النهاية في كتاب على الصورة التي هو عليها في المصحف الآن، وفي العرضَتَيْن الأخيرتين في رمضان الأخير من حياة الرسول ﷺ، الصورةُ التي بقي عليها الكتاب كما هو. كانت لها صورة أخرى في علاقة النصّ القرآني بالتاريخ وبالمكان والزمان.

المنهجُ الذي اختاره الله عز وجل ليحل به الوحْي في الواقع هو مقتضى ترتيب نزول القرآن الكريم ولم يبق لنا بغاية الدقة كما كان أول مرة، لأن تلك الصورة بذلك الشكل لا يمكن أن تُلْزَم بها الأمةُ لتغيُّر الزمان والمكان والإنسان، فيحتاج الأمر إلى اجتهاد، لكن المعالم الكبرى مهمةٌ جدا وهي باقية، القرآن وهو ينزل بنبيه ﷺ، ذلك البيان حين عُزل عن التاريخ صار سنة وجُمعت النصوص وصُنفت، وصارت بعدُ مرتبةً على الموضوعات، وكُلٌّ رتَّبها على طريقته، وعلى كُلٍّ فالترتيب الذي صار مشهورًا بعد ذلك هو الترتيبُ حسب الموضوعات، فإذا أردت أن تعرف

◄ ◄ ◄

الاسلام عن طريق السنة تجد هذه المواضيع أمامك، لكن الترتيب الذي كان لتلك السُّنّة نَفْسها والرسول ﷺ ينطقُ بها أو يَفْعَلُها أو يُقرُّها، ذلك الترتيبُ إنما هو في السِّيَرة، كان يَنْبَغي أن يكون. ولكنه بتلك الصورة الصَّحيحة الشاملة الصحيحة الكاملة لم يكُن، وهو ما أقْصدُه بالسِّيرة السُّنة، أي السيرة التي تُمَثِّل السنة، لكن بصورة زمنيَّة في صورة مرتبطة بالمكان، والزمان في شقٍّ تاريخيٍّ دقيقٍ، كُلُّ حادثة بعد التي تليها بالضبط، أيُّ نصٍّ من النصوص الواردة ينبغي أن نلتمس له بدقة مكانَه في النسق التاريخي لزمن السيرة، لنحصل في النهاية على هذه القصة الكاملة النموذجية لأكمل نبي وأعظم رسول.

## لِمَ لَمْ تُكتب هذه السيرة السنة قبل؟

واضح مما سبق أنها في أصل الانطلاق انطلقت منفصلة عن السنة، وسارت متقاربة، متكاملة لكن ليست هي هي، هذا الأمر الأول.

ولم كان الاهتمام بالسنة أكثر من الاهتمام بالسيرة؟.

السبب هو حاجة الأمة، فالأمة والعقل دائما يقتضيان الكياسة، والكياسة تقتضي أن تستجيب الأمة للحاجات الضاغطة بأي أمر، والأمة بالعوارض والنوازل التي تنزل تحتاج إلى الاجتهادات التي بها تواجه ذلك، فما كان تابعا للقضايا الجديدة النازلة بالأمة في توسُّعها وتنوع أجناسها وقع الاعتناءُ به والاجتهادُ فيه لإظهار الإسلام في صُوَره النقية النموذجية الكاملة الموضوعية.

**هذه النظرة الأفقية للدين، كانت حاجة الأمة إليها كبيرة جدا وتزداد كل يوم في تفاصيلها وجزئياتها، فكانت تحتاج إلى السنة في القياس عليها لاستنباط الأحكام التي بها تعالج مشكلاتها الجديدة النازلة.** هذا الأمر استجابت له الأمة فرتبت له عبر القرون الثلاثة، وأنهت قصة الغربلة الشاملة للسنة، والقرون الثلاثة تعني منتصف المائة الثالثة، ثم استمر الأمر بعد على نفس الاهتمام، لكن بالنسبة للسيرة لم يقض بهذا الشكل أبدا.

الأمر الأخير في هذه النقطة أي الأسباب التي جعلت الأمة لا تكتب السيرة بهذا الشكل هو انْعدَامُ الداعي من هاته القرون السابقة أَو ضُعْفهُ، وهو السبب الأهم في نظري، وإذا قلتُ القرون السابقة أقصد ما قبل القرنين الأخيرين، لأن هذين الأخيرين -الرابع عشر والخامس عشر الهجريين- هما من صميم ما يجري، حيث ما زلنا في المرحلة التاريخية المتشابهة. بمعنى أن الأمة إذ ذاك كانت تعيش الإسلام فيه خُروق، فيه بدَعٌ فيه أمورٌ ما عادتْ تَسير السيرَ الطبيعيّ، به أشكالٌ من المخَالفات، به أشكالٌ من المعاصي، من الفسوق في التديُّن -وليس الدين لأن هذا الأخيرَ دائمًا ثابتٌ مستقر- ولكن تدين الناس لم يَبْقَ كما كان أَوَّلَ مَرَّةٍ يكَادُ يُطابق النَّصَّ.

حدثت أشكالٌ من المعاصي والفسوق، ولكن بقيت المرجعيَّة هي المرجعيَّة، والناسُ يعترفون في النهاية أن القرآن والسنة وما استنبط منهما إليه يرجعون في شؤونهم العامة عند الاختصام، لكن في هذين القرنين الأخيرين بدأ وضع جديد نعيشه أي أننا نعيش التنكُّر للمرجعية.

الآن ببساطة هل وزارة التعليم عندنا مثلا تستشير الكتاب والسنة؟! أو تستشير الإسلام؟!.

وهل وزارة الإعلام تستشير الإسلام؟، وهل وزارة التجهيز والفلاحة تستشير الإسلام؟!.

أي وزارة كانت، هل تفعل شيئا من هذا؟!، بل لها استشارات قانونية وتسير وفق قوانين، ولكن هذه القوانين مستقاة من الغرب أساسا، فإذن نحن لنا مرجعية غير إسلامية في حقيقتها، فا لأمر في غاية الوضوح.

حين حدث هذا بدأ الغيورون على حال هذه الأمة يتلمسون الطريق، وهذا ما يقف وراء ظهور بعض المحاولات في القرن الأخير لتفسير القرآن الكريم وفق ترتيب النزول كحال محمد عزة دروزة، وحبنَّكة الميداني، وحال غيرهما سواء عند ا لسنة أو عند الشيعة، هناك محاولات، تتلمَّسُ الطريق نحو القصة الأم، قصة رسول الله ﷺ. قصة كيف أخرج الناس من الظلمات إلى النور؟ يعني كيف كان الأمر ليُسْتَهْدى به؟ لأن تلك السيرةَ صنعَهَا القرآن، صنعَهَا تنزُّلُ القرآن خطوة خطوة.

فانعدام هذا الداعي جعل القرون السابقة لا تلتمس هذا، كانت حاجة التبرك بالسيرة أحيانا، وكانت حاجة الائْتساء بالسيرة أحيانا، وكانت الحاجة للدلائل والشمائل أحيانا، وكانت جوانب متعددة، وكانت وكانت، ولكنَّ الحاجةَ إلى أن نعيد البناء من الأساس لم تَأْت من قبل، والذين أحسوا بالخطر أو ببعض الخطر اهتمُّوا مع ذلك بفقه السيرة في وقت مبكر، وما زلتُ أذْكُرُ جهدَ ابن القيِّم في زاد المعاد، في مسألة فقه السيرة الذي عنده، فتلك الوقفات عنده في غاية الأهمية، لكن لم يصل الأمر في زمانه إلى ما وصل إليه في زماننا، ولذلك اشتدت الحاجة الآن ووجَبَتْ، فنحن بحاجة الآن إلى المنهاج الحقيقي نراه في تجربة رسول الله ﷺ صحيحًا، قابلا لأن يُسْتَنبط منه الاستنباط الفقهيُّ باطمئنان.

## هل يمكن اليوم كتابة السيرة السنة؟

نعَمْ أزعُم أن نَعَمْ، وقد كانت محاولات للأفراد، وللمؤسسات، ويعرف الجميع جهود الدكتور أكرم ضياء العمري وجهود إبراهيم العلي، وجهود الدكتور ناصر الدين الألباني، وغير هؤلاء، هناك جهود، ولكن تلك الجهود حتى الساعة لم تسر وفق المنهج العلمي الدقيق والرؤية الشاملة للهدف من السيرة جملة : أي لماذا نعيد كتابة السيرة أساسا؟؟.

**فالسيرة الآن في الصحيحين وفي غير الصحيحين لكن تحتاج إلى استخلاص لا علاقة له بالأبواب والموضوعات كما هي الآن في الصحيحين. لا. بل على القارئ أن يعود إلى كل نص ليستخلص ما يتعلق بشخصية أو بحادثة أو بفعل أو بقول، ويرتبط كقطعة صغيرة مع قطع أخرى تَلْتَقي في النهاية بعد جهود كبيرة من الجمع والتصنيف والتوثيق والتحقيق، ونحصل في النهاية على مادة كبيرة فيها الأمور الكبيرة وفيها الدقائق والجزئيات، ولكن تحتاج إلى أن تنسق بدقة.**

ويسهم في العملية متخصصون في هذه العلوم أساسا، لا في القرآن الكريم، ولا في الحديث الشريف، ولا في السيرة النبوية، وإذا قلت السيرة دخل معنا أهل التاريخ لا سيما الذين يهتمون بالسيرة.

لكن نحن بالدرجة الأولى تعنينا قصة رسول الله ﷺ. كل ما كُتب فيها بأشكال مختلفة، يُسْتخلص منه ما له علاقة، ثم يخضع لمنهج أهل الحديث، يعني إذا كان له سندٌ فالسند يدرس، ونُخرِجُ الحديث ونرتِّب رتبتَه، وإذا لم يكن له سندٌ كيف يُتعَامَلُ معه، وهل يوجد ما يُعَضِّده، أم أم...الخ؟

**ولكن الجهود تتكامل وتتضافر من أهل القرآن وأهل الحديث وأهل السيرة، وإنما أقول أهل السيرة مجازا، وإلا فأهْلُ السُّنَّة هم أهلُ السِّيرة، وأهْلُ السيرة هم أهل السُّنة، فالسنةُ الموجودةُ هي نفسُها السيرةُ معزولة عن الزمن، والسيرة الموجودة هي نفسها السُّنةُ معزولةٌ عن الموضوعات، لكن لم تُعَدَّ السيرة بنفس الطريقة التي أعدت بها مادة السنة فاختلفتا.**

هذه المصادر بصفة عامة هي المراحل الأساسية : مرحلة الجمع والتوثيق وتكون طويلة وكثيرة ومهمة لأنه لا بد من حصر المدونة، حصْر الكتب التي تدخل ويُرْجَعُ إليها، وستواجهنا عقبةُ المخطوطات ولا شك، ولكن على الأقل نُعدُّ المشروع انطلاقًا من المطبوع ونرتِّبُ الأمر للمخطوط، ونُعدُّ العدة لمسألة ما أسميه بمعضلة النص، وهي قضية كبيرة ليستْ في السيرة وحدها، بل في مختلف العلوم الإسلامية.

إشكالُ النص، الإعداد العلميُّ للنصّ، حتى الساعة لم يَتَيَسَّر، ونسأل الله تيْسير أسبابه.

فالجمع فالتوثيق، ثم التحقيق، والتدقيق للجزء والكليات، والجزئيات ثم التصنيف، والتأليف، هذه المراحل واضحةٌ كبيرة، والتفصيلُ فيها ليس هذا مكانه.

## خاتمة

أقول بوجوب الشروع في مشروع السيرة السُّنَّة.

أولا نحتاج إلى بَلْوَرة لهذا المشروع بوضوح. وعبْدُ ربِّه مستعدٌّ -وقد وفَّقَ الله أَهْل هذا البلد إلى أن يُثيروا هذا الموضوع- أرجو أن يتَبَنَّى مثلاً هذا المركز الذي هو مؤسَّسٌ هنا للأستاذ مصطفى بن حمزة -مركز الدراسات والبحوث- أن يتبَنَّى مثْل هذا المشروع وغيره ممن يُمْكِن أن يساعِدَهُ ويتعاونَ معه.

أرجو أن يُتبنى مشروع إعادة كتابة السيرة على أساس علمي، فقد بُذلت جهود قبل، كمعهد قَطَر الذي أسسه الشيخ يوسف القرضاوي جزاه الله خيرًا، ولكن ما أغْنَى الغَنَاءَ المطلوبَ لحَدِّ الساعة، كما حدث لمركز السُّنَّة كذلك في المدينة المنورة، فهو أيضا ما استطاع أن يُغْني الغناء المطلوب في مجال السنة، والآن تَرَاجَع ووصل إلى 120 مصدر.

خدمه خدمة هائلة وأُنْفقت الملايير، ولكن للأسف ما استطاعتَ الأمور أن تصل إلى الغاية، فما حُلَّت لا مشكلة السنة ولا مُشْكلة السّيرة، والأمر يحتاج لا إلى مالٍ فقط، ولكن إلى رجال أيضا.

**إن الأمة لا تحتاج إلى المال، فالمال يأتي به الرجال، رغم ما يقال إن المال قوام الأعمال ومعروف أن المال مهم ولكن إذا وجد الرجال جاءوا بالمال، إننا نحتاج إلى رجال يحترقون غَيْرةً على الأمة، وعلى واقعها وعلى مستقبلها، ونحتاج إلى رجال يحملون الأمانة، إلى رساليِّين حقا، إلى أتْباع محمد حقا ﷺ.** ليس الذين يزخرفون الكلام في محمد ﷺ، ويدعُون أيديهم في الماء، نحن بحاجة إلى أتباع الرسول ﷺ حقا.

فهذا المشروع يمكن أن يُبَلْوَر بِيُسْرٍ إن شاء الله تعالى، إن وُجد من ينهض بهذا الأمر، وما أحسن أن تتخصص كلُّ جهة في قضية من قضايا الأمة لتستطيع النهوض بها، ولا تضيع الوقت. وذلك التخصص مبنيٌّ على التكامل مع تخصصات أخرى في قضايا الأمة في جهات أخرى، ولا بد من هيئة للإشراف على هذا المشروع تكون واعية وصابرة ومحتسبة ومستعدة للتضحية إلى غير ذلك، ولا بد من جمهرة من الباحثين الصابرين العلماء القادرين بإذن الله عز وجل.

نسأل الله عز وجل أن يقيض لهذه الأمة رجال صدْق، وأهْلَ صدق، اللهم اجعل لنا من لدنك فرقانا، واجعل لنا من لدنك سلطانا، واجعل لنا من لدنك على الحق أعوانا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(*) ألقيت هذه الكلمة في ندوة السيرة النبوية : نحو وعي صحيح وتفاعل حقيقي بكلية الآداب بوجدة يوم 1 أبريل 2006.

هذا المشروع يمكن أن يُبَلْوَر بِيُسْرٍ إن شاء الله تعالى، إن وُجد من ينهض بهذا الأمر، وما أحسن أن تتخصص كلُّ جهة في قضية من قضايا الأمة لتستطيع النهوض بها، ولا تضيع الوقت. وذلك التخصص مبنيٌّ على التكامل مع تخصصات أخرى في قضايا الأمة في جهات أخرى، ولا بد من هيئة للإشراف على هذا المشروع تكون واعية وصابرة ومحتسبة ومستعدة للتضحية إلى غير ذلك، ولا بد من جمهرة من الباحثين الصابرين العلماء القادرين بإذن الله عز وجل.

## تعزية

انتقل إلى عفو الله ورحمته الأستاذ عبد السلام ياسين مؤسس جماعة العدل والإحسان صبيحة يوم الخميس 28 محرم 1434هـ الموافق ل 2012/12/13 م عن سن يناهز 87 سنة بعد وعكة صحية مفاجئة.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم **أسرة جريدة المحجة** بأحر التعازي إلى أسرة الفقيد وإلى كل محبيه سائلين الله العلي القدير أن يتقبله في مستقر رحمته ويقابله بعفوه وغفرانه، ويمتعه برضوانه ويسكنه فسيح جنانه، كما نسأل الله جل وعلا أن يرزق كل أسرته ومحبيه الصبر والاحتساب،

ولا نملك إلا أن نقول: «لله ما أعطى ولله ما أخذ»، و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

# الأستاذ عبد السلام ياسين حياة حافلة

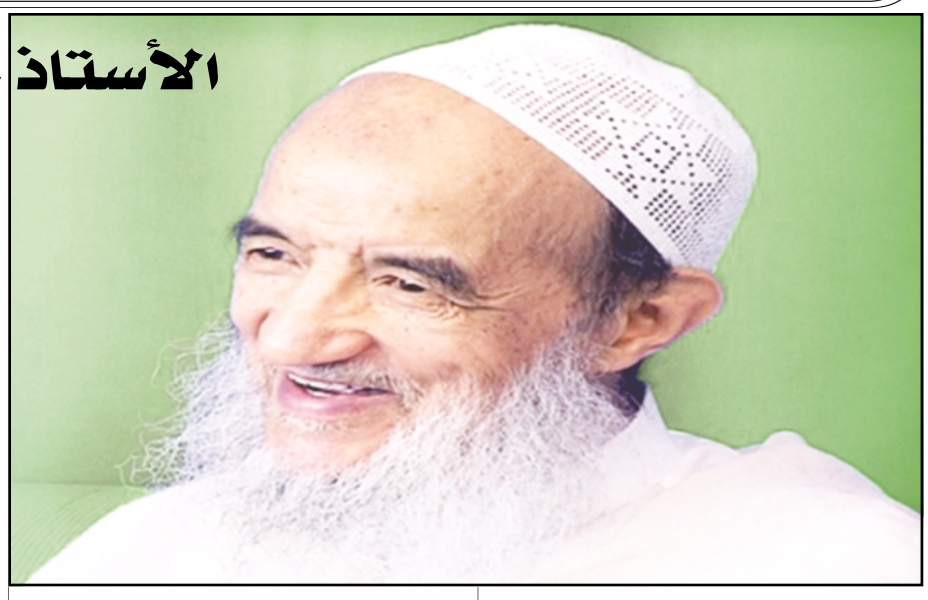

الأستاذ عبد السلام ياسين رحمه الله تعالى من مواليد يوم الاثنين 4 ربيع الثاني سنة 1347 هجرية 1928 م من قبيلة "أيت زلطن"، من أسرة بهي الشهيرة في الجنوب انتقلت أسرته إلى مراكش فعاش حياته متنقلا بين المدينة والبادية.

وتلقى تعليمه على يد كبار علماء عصره مثل العالم محمد المختار السوسي ثم بعد ذلك ولج معهد ابن يوسف للعلوم الشرعية التابع لجامع القرووين حيث قضى به أربع سنوات تعلم فيه العلوم الدينية وحصل بإرادته اللغات العصرية وكان كثير الاهتمام بالثقافة الإسلامية المعاصرة، وبعد تخرجه من المعهد اشتغل بمهنة التدريس معلما وخلال هذه المرحلة ازداد حرصا على اكتساب لغات أخرى غير الفرنسية كالإنجليزية والروسية خاصة، وواصل مشواره الدراسي فولج معهد الدروس العليا للدراسات الإسلامية في الرباط. ثم ما لبث أن حصل على الدبلوم فانتقل إلى مراكش أستاذاً للغة العربية والترجمة، فمفتشاً بالتعليم الابتدائي بعد ثلاث سنوات من التدريس.

وبعد الاستقلال تقلد الأستاذ عبد السلام ياسين عددا من المناصب والمسؤوليات التربوية والإدارية بوزارة التعليم منها:

- مزاولة مهام التفتيش التربوي في السلكين الابتدائي والثانوي بأقاليم مختلفة..
- ترؤس مؤسسات تكوينية تابعة للوزارة: مدرسة المعلمين بمراكش - مركز تكوين المفتشين بالرباط...
- المشاركة في دورات تدريبية بيداغوجية خارج المغرب: فرنسا - الولايات المتحدة الأمريكية - لبنان - تونس - الجزائر ...
- تأليف مقررات وكتب بيداغوجية من بينها: "كيف أكتب إنشاء بيداغوجيا" - "مذكرات في التربية" - "النصوص التربوية"...

وتعتبر سنة 1965 بداية التحول النوعي في حياة الأستاذ إذ سيتعرف على الطريقة البودشيشية في التصوف حيث لبث في حضنها وفي صحبة الشيخ الحاج العباس رحمه الله، وابنه من بعده إلى أن بدأت بوادر الاختلاف مع الزاوية تظهر، فخرج من الزاوية وتميز بموقفه الخاص به.

وكان لكتبه في هذه المرحلة الأولى من السبعينات ذات الطابع النقدي للممارسة السياسية أثرها في تميزه وانفصاله عن الطريقة البودشيشية وخاصة كتابه "الإسلام بين الدعوة والدولة" (1971) و"الإسلام غداً" (1972) الأثر الواضح في ابتعاده شيئا فشيئا عن نهج الزاوية، واعتبر كثيرون أن رسالته الشهيرة إلى ملك المغرب "الإسلام أو الطوفان" بداية نوعية في حياة الرجل حيث تم اعتقاله مدة ثلاث سنوات وستة أشهر دون محاكمة أمضى جزءا منها في مستشفى المجانين والأمراض الصدرية. وفي فترة الاعتقال، أعاد الأستاذ الكرة عبر كتابة رسالة ثانية (باللغة الفرنسية) إلى الملك على سبيل الإلحاح في الدعوة والنصيحة.

مرحلة العمل السياسي وتأسيس جماعة العدل والإحسان

بعد الخروج من السجن توجه الأستاذ إلى العمل الإسلامي وفق رؤية خاصة انتهت إلى تأسيس " أسرة الجماعة " وإصدار مجلة الجماعة وصحيفتي ومنعت كلها في تلك الفترة وأدخل الأستاذ السجن مرة أخرى لمدة عامين، وفي سنة 1989 فرضت عليه الإقامة الإجبارية وتعرض بيته للحصار والمضايقة لمدة عشر سنوات إلى أن رفعت عنه في 19 ماي 2000

### المسيرة العلمية والتربوية للأستاذ

تميز الأستاذ عبد السلام بحياة نشيطة في التأليف التربوي ونشر تصوره عن العمل الإسلامي والعمل السياسي الذي جسد خط الجماعة التي توسعت وكثر مريدوها وأصبح لها تأثير في المشهد السياسي المغربي عبر سلسلة من الاحتجاجات والاعتقالات والمضايقات، وقد تميز الشيخ بشجاعة وجرأة في قول الحق والصبر على الابتلاء وقد عكست مؤلفاته ونصائحه ومواقفه ثباته في ما يدعو إليه.

وقد خلف الأستاذ كتبا عديدة كان لها تأثير في توجيه مساره الفكري واختياره في العمل السياسي والعمل الإسلامي منها ما يلي:

- الإسلام بين الدعوة والدولة" (1972)
- الإسلام غدا" (1973)
- الإسلام أو الطوفان (الرسالة المفتوحة إلى الملك، 1974.
- La révolution à l'heure de l'ISLAM, 1980
- Pour un dialogue Islamique avec l'élite occidentalisée, 1980
- المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، 1982.
- الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية، 1987.
- " الرجال"، الجزء الأول من سلسلة "الإحسان"، 1989.
- مقدمات في المنهاج، 1989.
- الإسلام والقومية العلمانية، 1989.
- نظرات في الفقه والتاريخ، 1990.
- شذرات (ديوان شعر)، 1992.
- محنة العقل المسلم بين سيادة الوحي وسيطرة الهوى، 1994.
- حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، 1994.
- رسالة تذكير (هي الرسالة الأولى من سلسلة "رسائل الإحسان"، 1995.
- في الاقتصاد، البواعث الإيمانية والضوابط الشرعية، 1995.
- رسالة إلى الطالب والطالبة، إلى كل مسلم ومسلمة (الرسالة الثانية من رسائل الإحسان)، 1995.
- تنوير المؤمنات (في جزأين)، 1996.
- الشورى والديمقراطية، 1996.
- حوار الماضي والمستقبل، 1997.
- Islamiser la modernité 1998.
- الإحسان، الجزء الأول، 1998.
- الإحسان، الجزء الثاني، 1999.
- مذكرة إلى من يهمه الأمر (رسالة نصيحة بالفرنسية إلى الملك محمد السادس وترجمت إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات)، 1999
- العدل، 2000.
- قطوف (ديوان شعر طبع منه ثلاثة أجزاء)، 2000.
- المنظومة الوعظية (الرسالة الثالثة من رسائل الإحسان)
- الخلافة والملك، 2001.
- رجال القومة والإصلاح، 2001.
- سنة الله، 2005.
- مقدمات لمستقبل إسلامي، 2005.
- الثمن، 2006.
- إمامة الأمة، 2009.
- القرآن والنبوة، 2010.

وقد توفي الأستاذ رحمه الله تعالى رحمة واسعة بعد رحلة علمية وتربوية حافلة بالعطاء والحضور في ساحة العمل الإسلامي وفي المشهد السياسي المغربي.

مجرد رأي

# الشهيد والشهيد الغسيل------

.....صعدت روحه الطاهرة آمنة مطمئنة في حواصل طيور خضراء تحفهم ملائكة الرحمن تزفه شهيدا عند عرش الملك الديان ذلك هو قائد كتائب القسام أحمد الجعبري (أبو محمد). ترجل المجاهد البطل بعد سنوات عطرة قضاها بين محاريب المساجد قائما قانتا لربه ومحاريب الجهاد دفاعا عن كرامة المقدسات الإسلامية نيابة عن أمة بكاملها.

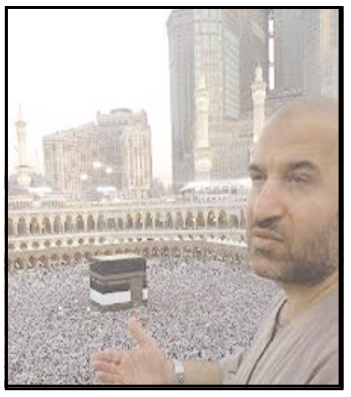

كان الشهيد أبو محمد قائدا ميدانيا بطلا محنكا أربك مخططات العدو ودوخه لسنوات طويلة حتى صار المطلوب رقم واحد لديهم لسنوات.

لم تكن له أماني كبيرة وأطماع عريضة كما لقادة هذا الزمن الرديء، كلها ثلاث أمنيات ادخرها الشهيد للقضية التي عاش من أجلها إرضاء لربه فجعلها تأشيرة مرور لجنة عرضها السماوات والارض يلقى فيها الأحبة محمدا وصحبه إلى آخر شهيد سقط دفاعا عن عرض وأرض هذه الأمة.

أول هذه الأمنيات تأدية مناسك الحج هذا العام.

ثم ثانيها تحرير الأسرى من سجون العدو

وبعدها الاستشهاد في سبيل الله.

فكان له ما تمنى إذ صدق الله فصدقه الله، فتمت له حجة مبرورة هذا العام، ومن قبلها خطط ودبر لعملية اختطاف الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط والتي توجت باستبداله بألف وسبعين أسيرا فلسطينيا مع "مرمطة"مستحقة لحكومة العدو، أما الثالثة فقد لقي ربه شهيدا عندما باغته صاروخ غادر وهو في سيارته متنقلا بين صفوف المقاومين...

تحكي زوجته ورفيقة دربه الجهادي عن آخر عهدها به وتقول : "لم أجد مثله تمنيا للشهادة ذلك اليوم فأعطاه الله إياها في أجمل الأوقات.... فهنيئا لك الشهادة يا أبا محمد". وتضيف قائلة : " طلبت منه صبيحة ذلك اليوم ألا يخرج -وقد بدأ القصف الصهيوني- فالتفت إليها مبتسما وقال في يقين :"إن أنا استشهدت فأنا في نعمة كبيرة بهذه الشهادة في هذا الوقت" ثم خرج وهو" أكثر فرحا يومئذ من فرحه يوم عرسه" تضيف زوجته. وفعلا ترجل المجاهد البطل ولبى داعي ربه شهيدا طاهرا في أكفان من حرير وديباج.... تقول زوجته أم محمد : "لقد اصطفاه الله عز وجل.. لقد رأيته لحظة وداعه يرفع السبابة ويمسك المصحف...رأيته يبتسم لي....".

وأنا أتأمل هذه الخاتمة المباركة لهذا الشهيد المبارك، تذكرت خاتمة مشابهة لشهيد مبارك آخر في غزوة أحد. عرف هذا الشهيد في السيرة باسم حنظلة الغسيل، إذ أن رسول الله ﷺ سأل من كان حوله من الصحابة وهو يقف على جثة الشهيد الطاهر : "ما شأن حنظلة؟ إن صاحبكم لتغسله الملائكة". فلما سئلت زوجته جميلة بنت عبد الله بن أبي عن ذلك قالت : "لقد سمع صيحة الحرب فخرج مسرعا ولم يتأخر للاغتسال". فقال رسول الله ﷺ معلقا على ما سمع : "لذلك غسلته الملائكة. لقد رأيت الملائكة تغسله في صحائف الفضة بماء المزن بين السماء والأرض".

وما أدرانا أن الشهيد أحمد الجعبري هوالآخر غسلته ملائكة الرحمان إكراما له، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا .رحم الله جميع شهدائنا الأبرار وألحقنا بهم شهداء محتسبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ذ. عبد القادر لوكيلي

خروق في سفينة المجتمع 22

# اتباع الهوى

د. عبد المجيد بنمسعود

تسيرسفينة المجتمع بنورين: نور الدين ونورالعقل، وإذا كان الدين يوفر منهج السير ويحدد أحكامه الهادية ومعاييره الضابطة وحدوده الرادعة، فإن العقل يمثل وسيلة الفهم والتفاعل المنتج مع مفردات ذلك المنهج وحقائقه وقضاياه، ومن المفيد والخير للإنسان أن يدرك في هذا السياق، أن العقل في علاقته بالدين، هو أشبه ما يكون بالعين المبصرة في علاقتها بضياء الشمس، إذ لا يتأتى للعين الإبصار في غياب ذلك الضياء. ويتأكد هذا الأمر على وجه الخصوص فيما له علاقة بمجال الغيبيات، وما هو في حكمها، مما لا يدرك العقل حكمته، من سنن العمران البشري، مما قد يتوهم الإنسان قدرته على الخوض فيه، وهو في مأمن من الزيغ والضلال، والحال أنه يقحم نفسه، إن هو فعل، في ما لا قبل له به.

وكل ما يعتري السفينة من اختلالات، في شتى الميادين والمجالات، في المجتمعات المسماة إسلامية، إنما مرده في أغلب الأحيان إلى أحد أمرين: إما مخالفة لأوامر الإسلام وأحكامه ونظمه، وتفلت من قيمه وآدابه، على وجه العمد والعصيان، وإما سوء فهم وتمثل وإدراك لكل ذلك، والأصل في كلا الأمرين هو اتباع الهوى.

ونحن إذا ما تأملنا حال سفينة الأمة في جميع مرابعها، رجعنا بحكم يقيني لا يقبل الرد، إلا من مكابر يركب هواه، مفاده أن الذي يحكم أمر السفينة ويمسك بمقاليدها إنما هو الهوى. ويتجلى هذا السلطان الغاشم للهوى في كل منحى من المناحي وشأن من الشؤون: في السياسة والاقتصاد، وفي الاجتماع والثقافة، وفي التربية والتعليم، وفي الأدب والفن، وهلم جرا.

ففي السياسة استحكام للغوغائية والديماغوجية، وللمكيافيلية التي تقوم على الاعتقاد المقيت بأن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان - وأعجب بها من أخوة - فلا استغراب لأفعال المخاتلة والمكر والخداع ، والافتراس، كلما حانت لذلك فرصة، لأن كل ذلك هو مقتضى شريعة الغاب، التي هي شريعة الذئاب. أما ما يقدم بين يدي ذلك من شعارات فيها رائحة المبادئ ونغمة الإنسانية، فهو لا يعدو أن يكون جزءا من صميم تلك الفلسفة القائمة على النصب والاحتيال.

وفي الاقتصاد غش وتدليس وامتصاص للدماء، وأكل لأموال الناس بالباطل، طلبا لإشباع البطون المنتفخة بالسحت، والصناديق الملغومة بالقطران والزفت، وكل ذلك تحت غطاء ساحر رنان من الإشهار الدائب الذي يدمن على طرق النفوس المكدودة والعقول الخاوية، بغية إسقاط أصحابها في مستنقع الربا العفن، وجرهم بسلاسل الاستعباد، إلى حيث النكد والعذاب، في مملكة يحكمها الأخطبوط الشيطاني، ويتربع على عرشها عباد العجل الذهبي.

وفي الاجتماع والثقافة تغييب للذاكرة، وتلويث للمواريث الحضارية، وتزييف للوعي بالتاريخ، وطمس للمفاهيم والقيم، بحيث يفضي كل ذلك - لا محالة - إلى تدجين النفوس وتمييع الأخلاق، فنكون أمام شخصيات هشة وقابلة للتخدير والذوبان، باعتبار ما يعتريه من ذهول وانكسار.

وفي التربية والتعليم غسل للأدمغة وطمس للفطرة، وتشويه للآدمية، وقلب للمفاهيم، واغتصاب للطفولة البريئة، وصناعة رديئة للحشود، ثم دمغ لهذا الاغتيال المعنوي والهدم الروحي لبنيان الله، بالقتل المادي الجسدي عن طريق سلاح العصاب والاكتئاب، وزرع السموم الناقعة في ذلك البنيان المسالم الوديع.

وفي الأدب والفن صناعة للنماذج الشيطانية، وللأبطال المزورين، وإحلالهم في نفوس الناشئة محل نماذج الرجولة والوفاء، وشحن للعواطف الهوجاء، وتأجيج للغرائز وتفجير لصنبور الشهوات، وإتلاف لكوابح العقل، وتعطيل لوازع التقوى، وزعزعة لليقين في المثل العليا الداعية إلى الإيمان والرشد والصدق والعفاف، وإيثار ما عند الله جل جلاله.

ويشكل الإعلام المجرى الهادر الذي تعبر فيه كل تلك التيارات الرهيبة الجارفة، فهو يمثل بهذا الاعتبار ملتقى الشرور، ووسيلة لشحذ الأهواء، والجمع فيما بينها في تركيب خطير يسحق النفوس الضعيفة ويجرفها إلى مجاهل العدمية والاستلاب والضياع.

وإذا كان لا بد من مثال، فليكن من عالم السياسة التي تعرف صراعا مريرا في خضم الربيع العربي، يتجلى فيه إصرار أصحاب الأهواء، أو عبيد الهوى على ضمان استمرارية تحكم الهوى الشيطاني في مجرى تدبير دواليب السياسة الإقليمي منها والعالمي، بحيث تبقى هذه تحت قبضة الماسون، يصرفونها كيفما يشاؤون، ضمن لعبة الأمم القذرة التي صمموا قواعدها وأحكموا فصولها، وبسطوا سيطرتهم على أجهزتها ومؤسساتها بكل إحكام، في ظل الخضوع والإحجام.

ولسان حال أصحاب الأهواء هو: فلتذهب الديموقراطية إلى الجحيم، إذا كانت مجرياتها تتجه قدما نحو الإطاحة بسلطان الهوى من عرشه، وإحلال - محله - سلطان الدين والعقل، وما يرتبط بهما من قيم سامية تحفظ للإنسان جدارته وللإنسانية كرامتها وبهاءها. لعل من الأمثلة الشاخصة والملموسة بين أيدينا في هذه الأيام العصيبة، مثال مصر الشماء، التي تجالد السفهاء من أصحاب الأهواء، التي يريدونها فوضى كاسحة، تندفع بكل عنف ورعونة إلى تبديد الرصيد الذي أراده الأحرار رصيد عزة وإباء، بينما يبغيها عوجا هؤلاء البلهاء الأشقياء.

وصدق الله القائل: ﴿أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾ والقائل سبحانه: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾.

## حقوق الإنسان في الإسلام (تتمة)

يطالب بها الغرب، ولكن في الإسلام واجب فردي وجماعي، بدليل قوله ﷺ : «إن الناس إذا رأوا الظلم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده».

عباد الله: لو أننا -نحن المسلمين- انطلقنا من ذاتنا ومن أصولنا وثوابثنا وثقافتنا التي ينبغي أن نتمسك بها ونتربى عليها ومن مفاهيم شريعتنا لحقوق الإنسان، لسهل علينا فهم هذه الحقوق ثم العمل بها واحترامها حتى ولو نادى بها غيرنا، وإن من أولويات هذه الانطلاقة أن نقف على ما يتميز به الإسلام لحقوق الإنسان، وما يرتبط بها من مبادئ وقيم، لندرك الحاجة الماسة إلى ضرورة العودة إلى الله جل وعلا من خلال شرع الله لضمان حقوق الإنسان أيا كان، ولا سبيل للإقناع أفضلُ من تطبيقنا نحن المسلمين لما جاء به شرعنا الحنيف في هذا المجال، لأن الإنسانية في هذا الزمن لا تشكو قلة النصوص التشريعية والقانونية المنظمة لعلاقة الإنسان بالإنسان سواء على مستوى الأفراد والمجتمعات، وإنما تشكو سوء الفهم والتأويل لينعكس الأمر سلبا على التنفيذ والتطبيق، ويتحول الأمر من المطالبة بالقوانين الجادة التي تسعى إلى الرفع من مستوى الإنسان وصيانة كرامته وعزته، إلى المطالبة بالقوانين الشاذة التي تمس بكيان الإنسان وتقضي على مروءته، وهذا الذي يهدد حياة المجتمعات الإنسانية ويهدم صرح البشرية.

فاللهم نبهنا من غفلتنا، وأيقظنا من غفوتنا، وتب علينا توبة نصوحا، وأصلح فساد قلوبنا وانحراف سلوكنا وبعدنا عنك، اللهم ردَّ بنا إلى دينك ردا جميلا.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين، وعن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

## أجوبة المسابقة رقم 3 المنشورة بالعدد 389

■ **السؤال الأول : الفرق بين الرواية والقراءة :**

القراءة هي ما ينسب مباشرة إلى أحد القراء العشرة المعروفين وهم : نافع، وابن كثير، وأبو عمرو المصري . وأبو عامر .وعاصم .وحمزة .والكسائي.وأبو جعفر المدني .ويعقوب البصري.وخلف البغدادي.

واما الرواية فهي ما ينسب لمن أخذ عن القارئ مثل رواية ورش عن قراءة نافع أو روية قالون عن قراءة نافع او رواية حفص عن قراءة عاصم

يرجع في عدد القراءات المتواترة وأسماء أصحابها إلى كتب علوم القرآن وكتاب النشر في القراءات العشر

■ **السؤال الثاني : الفرق بين الجرح والتعديل:**

الجرح في اصطلاح علم الحديث هو ظهور وصف في الراوي يثلم عدالته أو يخل بحفظه وضبطه ، مما يترتب عليه سقوط روايته أو ضعفها وردها، والتجريح هو وصف الراوي بصفات تقتضي تضعيف روايته أو عدم قبولها

- التعديل هو وصف الراوي بصفات تزكيه فتظهر عدالته ويقبل خبره

إذن علم الجرح والتعديل هو العلم الذي يبحث في أحوال الرواة من حيث قبول رواياتهم أو ردها. (يرجع في شروط التجريح والتعديل إلى كتب مصطلح الحديث)

■ **السؤال الثالث : الفرق بين الغزوة والسرية**

فالغزوة : هي الخروج الذي يكون على رأسه رسول الله ﷺ.

والسرية للخروج الذي يبعثه رسول الله ﷺ ويكون على رأيه أحد الصحابة، ومن غزوات الرسول الشهيرة غزوة مؤتة ، وغزوة أحد وغزوة الأحزاب ومن السرايا:- سرية سيف البحر: في رمضان سنة 1هـ بقيادة حمزة بن عبد المطلب .،و سرية رابغ: في شوال سنة 1هـ بقيادة عبيدة بن الحارث بن المطلب .و سرية الخرّار: في ذي القعدة سنة 1هـ بقيادة سعد بن أبي وقاص .

■ **السؤال الرابع : التعريف بالأعلام :**

**الإمام الشافعي:** هو الأمام محمد بن إدريس الشافعي إمام مذهب الشافعية في الفقه ولد سنة 150 وتوفي سنة 204هـ ،ومن أهم كتبه كتاب الرسالة وهو أول كتاب دون في علم أصول الفقه ، وكتاب الأم في الفقه

● **أبو حامد الغزالي:** هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي نسبة إلى قرية غزال ، وقيل الغزّالي نسبة إلى جده الذي كان غزالا، ولد سنة 450 هـ وتوفي سنة 505 هـ هو أحد كبار المتكلمين على مذهب الأشعري وواحد من كبار الأصوليين والفقهاء على مذهب الشافعي، وواحد من الفلاسفة والمتصوفة ، ترك تراثا علميا واسعا في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، والفقه وأصوله والتصوف والأخلاق، ولا يزال الغزالي يحتفظ بقيمته العلمية إلى اليوم.

● **ابن رشد الحفيد :** هو محمد بن أحمد ابن رشد جده لأبيه هو القاضي المالكي ابن رشد المالكي المشهور. كان الحفيد ابن رشد فقيها وأصوليا وفقيها مالكيا ومتكلما وفيلسوفا ، يعد أكبر شراح أرسطو، اشتهر بخصومته الفكرية مع الغزالي وردوده عليه. مؤلفاته عديدة منها تهافت التهافت في الرد على تهافت الفلاسفة للغزالي، وكتاب " بداية المجتهد ونهاية المقتصد" في الفقه والخلاف العالي، وكتاب "مناهج الأدلة في عقائد الملة" في العقيدة ، وشروحه المنطقية وتلاخيصه لكتب أرسطو.

● **عبد القاهر الجرجاني :** هو أبو بكر بن عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، فارسي الأصل، جرجاني الدار، توفي سنة 471 هـ. ترك عبدالقاهر الجرجاني آثاراً مهمة في الشعر والأدب والنحو وعلوم القرآن، من ذلك ديوان في الشعر وكتب عدة في النحو والصرف نذكر منها كتاب "الإيضاح في النحو" وكتاب "الجمل"، أما في الأدب وعلوم القرآن فكان له: "إعجاز القرآن" و"الرسالة الشافية في الإعجاز" و"دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة". واعتبر بحق مؤسس علم البلاغة، أو أحد المؤسسين لهذا العلم

● **الإمام الشاطبي:** هو أبو محمد القاسم بن فيرُّه بن أحمد الشَّاطِبِيُّ الرُّعَيْنِيُّ. وُلِد في مدينة شاطبة بالأندلس، كُفَّ بصره صغيرًا، وعنيت به أسرته، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم طرفًا من الحديث والفقه، وكان أهم عمل علمي اشتهر به الشاطبي هو كتابه الموافقات الذي عد به مؤسس علم مقاصد الشريعة أو أبرز المؤسسين، وله منظومة الشاطبية في علم التجويد، تُوفِّي سنة 790هـ.

● **ابن خلدون :** هو عبد الرحمان ابن خلدون مؤسس علم العمران وعلم الاجتماع في الحضارة الإسلامية توفي سنة 732هـ، كان صوفيا ومتكلما أشعريا وفقيها مالكيا، اشتغل بمناصب سياسية في دول المغرب والأندلس كان آخرها منصب القضاء بمصر، نكب في حياته كثيرا أشهرها غرق أسرته بالبحر قرب مصر وهي تنتقل إليه من تونس إلى مصر، كان من أشهر ما تركه من تأليفات كتاب المقدمة الذي جعله مقدمة لكتابه في التاريخ :"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ،في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وله تأليفات في الفقه والعقيدة والرياضيات.

● **ابن البناء المراكشي:** إمام الرياضيات: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العددي، من الأزد إحدى القبائل القحطانية ، وُلِدَ ابن البناء عام (654هـ-1256م) بمراكش، نبغ في علم الرياضيات، ووصل إلى درجة عالية في هذا العلم حتى لُقِّبَ بالعددي، ويُعَدُّ كتابه (تلخيص أعمال الحساب) من المراجع الأساسية في الرياضيات، وكان إمامًا من أئمة المعقول والمنقول في عصره .وصنف ابن البناء المراكشي الكثير من المؤلفات في مختلف فروع المعرفة، إلا أن مؤلفاته لم تنل حقها من العناية في البحث والتنقيب رغم تنوعها وكثرتها. ولابن البناء المراكشي العديد من المؤلفات في علم الرياضيات، ومن أهم تلك المؤلفات كتاب (تلخيص أعمال الحساب)، ذلك الكتاب الذي كان سببًا في شهرته. توفي -رحمه الله- بمراكش عام (721هـ-1321م).

## شرح الأربعين الأدبية (12)

د. الحسين زروق

# في سحر البيان

**روى الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «جاء رجلان من المشرق فخطبا، فقال النبي ﷺ : إن من البيان لسحرا»(1).**

**وفي رواية أخرى «فخَطبا فعجِب الناس لبيانهما»، فيكون كلامُ النبي ﷺ مرتبطاً سياقيا بإعجاب القوم لبيان الرجلين(2).**

والسياق في رواية عند الإمام أحمد «أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فتكلَّم بكلام بيِّن»(3).

أما في المستدرك فالسياق هو قدوم قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم التميميين على رسول الله ﷺ، وافتخار الزبرقان بقوله: «يا رسول الله! أنا سيد تميم، والمطاع فيهم، والمجاب فيهم، أمنعهم من الظلم، فآخذ لهم بحقوقهم، وهذا يعلم ذاك، يعني عمرو بن الأهتم. فقال عمرو بن الأهتم: والله يا رسول الله إنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في ناديه. قال الزبرقان: والله يا رسول الله لقد علم ما قال، وما منعه أن يتكلم به إلا الحسد، قال عمرو: أنا أحسدك؟! فوالله إنك لئيم الخال، حديث المال، أحمق الموالد، مضيع في العشيرة، والله يا رسول الله لقد صدقتُ فيما قلتُ أولا، وما كذبتُ فيما قلتُ آخرا، لكني رجل رضيتُ فقلتُ أحسن ما علمتُ، وغضبتُ فقلتُ أقبح ما وجدتُ، ووالله لقد صدقتُ في الأمرين جميعا» (4).

وإذا كان في رواية البخاري أن رجلين قدما من المشرق، وأنهما خطبا، ففي رواية الحاكم أن الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم خطبا، وقد قدما من المشرق؛ لأن موطن قبيلة تميم شرق المدينة المنورة، وعلى هذا يكون الحديث قد ورد عامَ الوفود سنة تسع للهجرة لما قدم وفد تميم على النبي ﷺ.

ولنا مع القول النبوي «إن من البيان لسحرا»؛ ثلاث وقفات: الأولى مع البيان، والثانية مع السحر، والثالثة مع العلاقة بينهما.

أما البيان فأصله الكشف والظهور، وله معنيان: «أحدهما ما تقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان، والآخر ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين ويستميل قلوبهم»(5)، فهو بهذا المعنى «إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم وذكاء القلب»(6).

وأما السحر فأصله صرْف الشيء عن حقيقته إلى غيره(7)، وهو الأخذة كأخذ العين حتى يُظن أن الأمر كما يُرى وليس الأصل كذلك(8)، وهو يطلق -مما يطلق عليه- على «كل ما لطف مأخذه»، و«البيان في فطنة»(9).

وبناء على ما سبق فإن بين البيان والسحر شبَها من وجهين(10):

أولهما القدرة على استمالة القلوب، والتأثير عليها انبساطا وانقباضا.

والآخر القدرة على تحسين القبيح، وتقبيح الحسن.

ومن ذلك يفهم أن البيان قد يدقّ ويلْطف بما يحوزه من بلاغة وبراعة في اللفظ والمعنى فيفعل في النفوس فعْل السحر، ومن ثم يمكن الحديث عن سحر البيان.

ولابد أن نلاحظ في حديث النبي ﷺ عن سحر البيان خمسة أمور:

أولها أنه يتحدث عن سحر البيان في مجال القول لا الرؤية البصرية؛ إذ السياق هو سماع كلامٍ والتعليق عليه، وهذا الأمر يجعل علاقة السحر بالبيان في القول النبوي محصورة في القدرة على التصرف في القول تصرفا مثيرا للانتباه، ومؤثرا في النفوس.

وثانيها أن النبي ﷺ تحدث عن سحر البيان باستعمال (منَ) الدالة على التبعيض، ومنه يفهم أنه ليس كل بيان ساحرا، أي ليس كل بيان يفعل فعل السحر في النفوس.

وثالثها أن البيان المتحدث عنه هو البيان الساحر الصادق الذي يستمد سحره من الصدق ومراعاة المقام، واختيار اللفظ المناسب للحظة المناسبة.

ورابعها أن سحر البيان عام يحتمل حكمين: الذم والمدح، قال ابن عبدالبر: «اختلف في المعنى المقصود إليه بهذا الخبر، فقيل: قصد به إلى ذم البلاغة إذ شبهت بالسحر، والسحر محرم مذموم، وذلك لما فيها من تصوير الباطل في صورة الحق والتفيهق والتشدق... وإلى هذا المعنى ذهب طائفة من أصحاب مالك، واستدلوا على ذلك بإدخال مالك له في موطئه في «باب ما يكره من الكلام» (11)، وأبى جمهور أهل الأدب والعلم بلسان العرب إلا أن يجعلوا قوله ﷺ: «إن من البيان لسحرا» مدحا وثناء وتفضيلا للبيان وإطراء، وهو الذي تدل عليه سياقة الخبر»(12).

والذي تطمئن إليه النفس وتدعمه "سياقة الخبر" هو أن التعليق النبوي وارد في سياق مدح البيان الساحر بما حازه من صدقٍ وإجادة اختيار نوع الإضاءة وزاويتها، فقد اختار المتكلم الكلمة المناسبة في الوقت المناسب دون أن يتورط فيما يشينه أو يشين كلامه.

وخامسها أن في السماع النبوي للبيان الساحر ومدْحه حضّا لنا على طلب عناصر السِّحْر في البيان ومراعاتها ليكون بياننا ساحرا، أو على الأقل ليكون فيه سحْرٌ.

---

1 - صحيح البخاري، 360/3، حديث رقم 5146، كتاب النكاح، باب الخطبة.

2- صحيح البخاري، 33/4، حديث رقم 5767، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحرا.

3- المسند، 228/3، حديث رقم 2761، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحرا، وقد صححه محققه.

4- المستدرك، 805/4، حديث رقم 6627، وقد سكت عنه الحاكم، وعلق عليه محققه بقوله: "الحديث بطرقه حسن".

5 - فتح الباري، 237/10.

6- النهاية في غريب الحديث والأثر، 174/1، مادة +بين؛.

7- لسان العرب، 348/4، مادة ؛سحر+.

8- م.س.

9 - لسان العرب، 348/4، مادة ؛سحر+.

10- تفسير الفخر الرازي، 223-224/3.

11- الموطأ، ص: 682، حديث رقم 3، كتاب الكلام والعينة والتقى.

12- التمهيد لابن عبدالبر، 170/5.

# القرآن الكريم بين جيل وجيل

د. الميلود كعواس

لعل المتأمِّل لواقع الأُمَّة المتلقية للخطاب القرآني اليوم، يدرك عظم المحنة التي تمر بها مع كتاب الله تعالى، فالتلاوة لم تعد -عند كثير من الناس- لغرض الفهم والتدبر أولا، ثم التطبيق وتحويل النصوص إلى واقع سلوكي ثانيا، بل باتت -في كثير من الأحوال- للتبرك والاستشفاء وتحلية المجالس في الأفراح والأتراح. وما تلك الأمور هي المقصد الأول من تنزلات الكتاب المبين، التي لأجلها تكفل الخالق سبحانه بحفظ هذا الخطاب دون سائر الكتب السماوية الأخرى، وجعله باقياً وخاتماً ومهيمناً عليها جميعاً.

لقد ولّد هذا الواقع في الأمة عددا من الأمراض والأسقام، ولعل من أبرزها داء الفصام بين الأصل الذي به أساسنا، والواقع الذي فيه معاشنا، فالواقع يشهد بوجود هوة -وأعظم بها من هوة- بين ما نرتله في القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وبين السلوك اليومي الذي يؤطر حياتنا سواء على مستوى الفرد أم الجماعة.

ولعل هذا الفصام هو الذي حدا ببعض علمائنا كالأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله إلى أن يتساءل ويتعجب: "**أليس بالقرآن -وبالقرآن فقط- بَعَثَ اللهُ الحياةَ في عرب الجاهلية فنقلهم من أُمَّةٍ أُمِّية ضالة إلى أُمَّةٍ تمارس الشهادة على الناسِ كل الناس؟**

**ألم يكن القرآنُ في جيل القرآن مفتاحا لعالم المُلْك والملكوت؟ ألم يكن هو الشفاء وهو الدواء؟ (...)**

**ألم تكن تلاوته -مجرد تلاوته- من رجل قرآني بسيط تُحْدِثُ انقلابا ربانيا عجيبا، وخرقا نورانيا غريبا في أمر المُلْك والملكوت؟ (...) أليس هذا القرآن هو الذي صنع التاريخ والجغرافيا للمسلمين؛ فكان هذا العالم الإسلامي المترامي الأطراف؟ وكان له هذا الرصيد الحضاري العظيم (...)**

**أليس القرآن الذي نتلوه اليوم هو عينه القرآن الذي تلاه أولئك من قبل؟**"(1).

بلى، إنه القرآن عينه، فالآيات هي الآيات نفسها، والألفاظ هي الألفاظ ذاتها، لا تحريف شابها، ولا تزوير اعتراها، لكن الذي تعرض للتحريف والمسخ هو فهم الإنسان وتدينه، فلم يعد إنسان هذا اليوم من جنس ذلك "الجيل القرآني الفريد"، الذي كان يتذوق القرآن الكريم، ويتفاعل مع جلاله وجماله.

**إن الفرق بيننا وبين ذلك "الجيل الفريد" هو أن ذلك الجيل قد أدرك كنه القرآن الكريم، ووعى بأنه هو البلسم الشافي لما يعتور الفرد والمجتمع من آفات نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(يونس :57) فاقبل على هذا البلسم يعالج به الأدواء والأسقام، ووفق الوصفة التي حددها طبيب القلوب والنفوس؛ حبيبنا محمد ﷺ من غير زيادة أو نقصان.**

أما جيلنا، فحاله مع القرآن على وصف غير مرضي بتاتا، والمتفحص لتلك الحال يجد أن أصحابها أقسام وأصناف:

● **صنف يرفض الاعتراف بهذا القرآن وأحكامه بتاتا، ولا يقبل به مرجعا لتنظيم الحياة المعاصرة**، على اعتبار أنه دستور جاء لتسيير شؤون أناس في زمان ومكان معينين، فانتهت صلاحيته بانتهائهم، ولا يمكن بحال أن يعتمد عليه في اللحظة التاريخية التي نعيشها، نظرا لتغير الزمان والمكان والإنسان، وإنما المرجعية المناسبة لتنظيم الحياة الآنية هي المواثيق الدولية التي انبثقت من دهاليز المنظمات الدولية، وأروقة برلمانات القوى العظمى.

● **صنف يؤمن بهذا الكتاب الرباني وأنه صالح لكل زمان ومكان وإنسان، لكن مشكلته أنه يتعامل مع مقرراته بانتقائية**، إذ يرفض تحويل كثير من أحكامه إلى واقع عملي مشاهد، فيكتفي بالتزام بعض ما يراه مناسبا من أحكام هذا الكتاب؛ كالشعائر التعبدية التي تلزمه فيما بينه وبين ربه (الصلاة والصوم والحج والاحتفاء بالمواسم والأعياد...) ويحرص على التبرك بتلاوته في مختلف المناسبات الاجتماعية والدينية. وحجة هؤلاء أن الالتزام بكل أحكام القرآن أمر صعب، بل محال؛ نظرا لتبدل نمط الحياة، وتغيير أحوال الناس وتواطئهم على مخالفة كثير من أحكامه، سواء في مجال السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع. ولعمري هذا هو العمل عينه الذي قام به بنو إسرائيل فاستحقوا عليه الخزي والوبال، قال سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(البقرة :85).

● **صنف يوقن بمقررات كتاب الله تعالى، ويؤمن إيمانا جازما** بأن هذا الكتاب ليس كتاب تاريخ ولا هو كتاب نظريات، وإنما هو كتاب يقدم خطوات إجرائية عملية حقيقية تستطيع إنقاذ الحضارة الإنسانية من التخبط الذي تعانيه على جميع المستويات المادية والمعنوية، وذلك لأنه يتجاوز الالتفات إلى الاهتمام بالشكل إلى التركيز على إصلاح جوهر الحضارة وروحها، وهو الإنسان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(الجمعة : 2). لذلك تجد هذا الصنف من الناس يحرص أيما حرص على تمثل تعاليمه والخضوع لأحكامه، وترجمتها إلى واقع عملي في الفضاءات التي يشتغل فيها، سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم تربوية أم رياضية... فهو يرى بأنه لا منجى للسفينة الإنسانية إلا بالإبحار وفق بوصلة القرآن الكريم، وإلا فإن مآلها التيه أو الغرق، مصداقا لقوله ﷺ: (كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله)2.

والناظر في هذه الأصناف يتبين له بأنها ستؤول إلى مآلات لا تحيد عنها، وهي كما يأتي:

● **فأما الصنف الأول** فهو أشبه ما يكون بالمريض الذي يرفض الدواء المناسب الذي يصفه الطبيب، والذي يتطلب صبرا على تناوله، وجلدا على استعماله وفق مقاديره المحددة وفي أوقاته المضبوطة، ويلجأ إلى بعض وصفات المشعوذين والسحرة بغية تحقيق الشفاء العاجل والسريع. فهذا الصنف سرعان ما يستفحل فيه المرض ويؤول به الأمر إلى الهلاك.

● **وأما الصنف الثاني** فمثله مثل المريض الذي يقبل تناول الدواء لكن من غير احترام الوصفة التي صاغها الطبيب. فهذا يظل في المنزلة بين المنزلتين، فهو مريض وسقيم في الآن ذاته، قد يفتر عنه الألم أحيانا لكن سرعان ما يباغته المرض بمضاعفات ليست في الحسبان.

● **وأما الصنف الثالث** فمنطقي مع ذاته، موضوعي في تصوره، فهو موقن بجدوى الدواء، وحريص في الآن ذاته على تناوله في أوقاته وبمقاديره المحددة من قبل المعالج والطبيب، فيتحقق له بذلك الشفاء ويتحصل له القضاء على الداء واستئصاله من جذوره.

لذلك فعلى الأمة اليوم إن رامت استعاده عافيتها، وأن تستأصل الأدواء التي تنخر كيانها، أن تُقبِل على الدواء الذي وصفه طبيب القلوب محمد ﷺ بأمر ووحي من ربه، وتعمد إلى الاستشفاء به وفق الوصفة النبوية الدقيقة، فإنه لن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

## عبرة

نسج عطاء السلمي ثوبا فأحكمه وحسّنه، ثم حمله إلى السوق، فعرضه فاسترخصه البزّاز (الخياط)، وقال : إن فيه عيوبا كيت وكيت فأخذه عطاء وجلس يبكي بكاء شديدا، فندم الرجل على ذلك، وجعل يعتذر إليه، ويبذل له في ثمنه ما يريد، فقال عطاء : (ليس ذلك ما تظن، إنما أنا عامل في هذه الصناعة وقد اجتهدت في إصلاح هذا الثوب، وتحسينه حتى لا يوجد به عيب، فلما عرض على البصير بعيوبه أظهر فيه عيوبا كنت عنها غافلا، فكيف أعمالنا هذه إذا عرضت غدا على الله سبحانه؟ كم يبدو فيها من العيوب والنقصان)؟.

الإعجاب بالعمل محبط للأجر، والاغترار بالطاعة موجب للهجر، فمتى نظر العبد إلى عمله بإعجاب، فاعلم أنه محجوب عن الوصول، بعيد عن نيل المأمول، واسمع معي أخي قول الله عز وجل : ﴿والذين يوتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ عملوا من الطاعات، وعكفوا على القربات، وخافوا ألا تقبل منهم، تلك سيماء المؤمن حقا، لا يعجب بعمل صالح، ولا يركن إلى طاعة، بل يرى أن المنة لله تعالى إذ وفقه للعمل الصالح ويسّر له الطاعة، وكم من محروم سدت عليه أبواب الطاعات، وقد ورد في الإسرائيليات أن داود عليه السلام قام من الليل، فوجد ثلاثمائة نفس من عقبه يقومون الليل، فأعجبه ذلك، وقال : يارب ثلاثمائة نفس من عقبي يقومون الليل. فأوحى الله إليه : يا داود من أيقظهم وترك غيرهم، فاستحيا داود عليه السلام.

فإذا يسر الله لك عملا صالحا، وأعانك على الطاعة، فاحمد الله عز وجل، واسأله دوام التوفيق والعون، واعترف بالتقصير، فإنما المُوّفّق من وفقه الله، والمُعان من أعانه الله سبحانه، فاللهم يسر لنا سبل الطاعة، وألزمنا أعتابك، ولا تبرح بنا عن بابك.

ذ. منير مغراوي

## تعازي

### والدة الأستاذة فوزية حجبي في ذمة الله

■ انتقلت إلى عفو الله ورحمته السيدة فاطنة آيت بيبا والدة الأستاذة فوزية حجبي، يوم الأربعاء 27 محرم 1434هـ الموافق لـ12 دجنبر 2012م بمدينة البيضاء، بعد معاناة من مرض عضال.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأصدق عبارات التعازي والمواساة لأسرة الفقيدة راجية من الله عز وجل أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته وأن يسكنها فسيح جنانه و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

### نجل الأستاذ البشير الموساوي في ذمة الله

■ انتقل إلى عفو الله ورحمته نجل الأستاذ البشير الموساوي، يوم 20 محرم 1434هـ الموافق لـ5 دجنبر 2012م بمدينة وجدة، في حادثة سير أليمة.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأصدق عبارات التعازي والمواساة لأستاذ البشير وأسرته راجية من الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جنانه و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

## شرف العربية ومنزلتها من علوم الدين

■ قال رسول الله ﷺ : «أُحبُّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لثَلاَث : لأَنِي عَرَبِيٌّ، وَ القُرْآنَ عَرَبِيٌّ، وَ كَلاَمُ أَهْلِ الجَنَّةِ عَرَبِيٌّ».

■ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تفقهوا في العربية فإنها تزيد في العقل وتثبت المروءة» والعقل أشرف ما في الإنسان» إذ به يتميز عن الحيوان.

■ يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تعلموا العربية فإنها من دينكم...)

■ وقال قتادة : «لا أسأل عن عقل رجل لم يدله عقله على أن يتعلم من العربية ما يصلح به لسانه».

■ وقال مجاهد : «لأن أخطئ الآيةَ وأفقدها أحب إلي من أن ألحن في كتاب الله»

■ روي عن الإمام الشافعي رحمه الله (-150 204هـ)أنه قال : +لسانُ العَرَب أوسعُ الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، والعلم بها عند العرب كالعلم بالسنن عند أهل الفقه؛

■ وقال رحمة الله تعالى أيضا: (فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويتلوبه كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، ومن التسبيح، والتشهد وغير ذلك...)

## "لا يُـقْرِئُ القرآن إلا عالم بلغة العرب.."

روي أن أعرابياً قدم إلى المدينة المنورة في خلافة أمير المؤمنين عمر فقال : من يقرئني مما أنزل على محمد ﷺ، فأقرأه رجل سورة "براءة" فقال : (أنَّ اللهَ بريء من المشركين ورسولـه) بالجر فقال الأعرابي : "أو قد برئ الله من رسولـه؟ إن يكن برئ من رسوله فأنا أبرأ منه". فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال : يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله؟ فقال يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة فقال: "أنَّ اللهَ بريء من المشركين ورسولـه" فقلت : "أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن برئ من رسوله فأنا أبرأ منه".

فقال عمر ليس هكذا يا أعرابي، فقال كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال : (أنَّ اللهَ بريء من المشركين ورسولُه) فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه.فأمر عمر رضي الله عنه ألا يُقْرِئ القرآن إلا عالم باللغة.."

## العربية شرط في فهم الدين كتابا وسنة

■ يقول السيوطي في الإتقان :" يجوز تفسير القرآن لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج إليها المفسر، وهي خمسة عشر علماً:

أحدها : اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

الثاني: النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره.

الثالث : التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ.."

■ يقول مجاهد :" لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إن لم يكن عالماً بلغات العرب."

■ يقول الإمام أبوإسحاق الشاطبي المتوفى سنة 790هـ، في الموافقات: (إن هذه الشريعة المباركة عربية، فمن أراد تفهمها فمن جهة لسان العرب تفهم، ولا سبيل إلى يطلب فهمها من غير هذه الجهة..)

■ ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(728-661هـ): (فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) (اقتضاء الصراط المستقيم، 69/1).

## بين الفقهاء والنحويين

■ روي أن القاضي أبا يوسف رحمه الله دخل على الرشيد ذات يوم، والكسائي عنده يمازحه ويطارحه المسائل.

فقال له أبو يوسف : هذا الكوفي قد استقر عندك وغلب عليك.

فقال له الرشيد : يا أبا يوسف : إنه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي.

فأقبل الكسائي على أبي يوسف فقال : يا أبا يوسف : هل لك في مسألة؟.

فقال : فقه أو نحو؟.

قال : فقه.

قال : فضحك الرشيد حتى فحص برجله، ثم قال : أتلقي على أبي يوسف فقهاً؟.

قال : نعم.

قال : يا أبا يوسف ما تقول في رجل قال لامرأته : أنت طالق إن دخلت الدار؟.

قال : إذا دخلت طلقت.

قال : أخطأت يا أبا يوسف.

فضحك الرشيد، ثم قال : كيف؟.

قال : إذا قال : (أن) فقد وجب الفعل، وإذا قال : (إن) لم يجب ولم يقع طلاق.

قال : فكان أبو يوسف بعدها لا يدع أن يأتي الكسائي.

■ وروي عن القاضي أبي عبيد بن حربويه من أن رجلاً ادعى مالاً على رجل بحضرته.

فقال المُدَّعَى عليه : مالُه عليّ حقٌّ (بضم اللام).

فقال له القاضي أبو عبيد : أتعرف النحو؟.

فقال : نعم.

قال : قم، قد ألزمتك المال.

## عن الأعراب تفهم لغة القرآن الكريم

■ روى عكرمة عن ابن عباس قال : ..ما كنت أدري ما قوله -تعالى- (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين). حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول : "أفاتحك" يعني أقاضيك..

■ وقال أيضاً : ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها يعني ابتدأتها.

## من شهادات الأجانب في اللغة العربية:

■ كان عالم اللغة البريطاني وليام يدول يقول إن اللغة العربية هي أهم لغة في العالم، ثم وضع في العام 1561 قاموس الإنجليزية ضم مفردات لاتينية كثيرة أصلها عربي.

■ وقال الإسباني فيلا س ازا: إن اللغة العربية من أغنى لغات العالم وهي أرقى من لغات أوروبية لأنها تتضمن كل أدوات التعبير في أصولها، في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وغيرها قد تحدرت من لغات ميتة.

■ وقال الألماني يوهان فك: لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى من مقامها المسيطر.

■ وقالت الألمانية سيغريد هونكه متسائلة: كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟!! فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة.

■ وقال الإيطالي كارلونلينو: "إن اللغة العربية تفوق سائر اللغات رونقا ويعجز اللسان عن وصف محاسنها"،

■ وقال الألماني فريتا "إن العربية أغنى لغات العالم".

■ وكان ابن خالويه الفارسي يقول: "لأن أهْجى العربية أحب إلى قلبي من أن أمدح بالفارسية".

## علماء النحو يتمنون خدمة الدين بنحوهم

■ يروى عن أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد المقرئ قال كنت عند الإمام أحمد بن يحيى ثعلب، فتذاكرنا العلوم.فقال لي : يا أبا بكر : شغلتم أنتم بتعليم القرآن ففزتم، وشغل أهل الفقه بالفقه فنجوا، وشغلت أنا بزيد وعمرو، وما أدري ما يكون أمري غداً مع الله عز وجل، وبكى بكاءً شنيعاً.

فانصرفت من عنده، فرأيت في تلك الليلة محمد الزاهد في النوم.

فقال لي : يا أبا بكر، أتعرف ثعلباً.فقلت : صاحبنا.

فقال لي : إذا كان غداً فاقرأ عليه من الله السلام وقل له أنت غداً في القيامة صاحب العلم المستطيل.

■ وقال وهب بن جرير : «تعلم النحو فإنك لن تتعلمَ منه باباً إلا تدرَّعت من الجمال سربالاً».

## اللغة العربية تنعى حظها – لحافظ إبراهيم

رَجَعتُ لِنَفسي فَاتَّهَمتُ حَصاتي
وَنادَيتُ قَومي فَاحتَسَبتُ حَياتي
رَمَوني بِعُقمٍ في الشَبابِ وَلَيتَني
عَقمتُ فَلَم أَجزَع لِقَولِ عُداتي
وَلَدتُ وَلَمّا لَم أَجِد لِعَرائسي
رِجالاً وَأَكفاءً وَأَدتُ بَناتي
وَسِعتُ كِتابَ اللَهِ لَفظاً وَغايَةً
وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ
وَتَنسيقِ أَسمٰاءٍ لِمُختَرَعاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ
فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي
فَيا وَيحَكُم أَبلى وَتَبلى مَحاسِني
وَمِنكُم وَإِن عَزَّ الدَواءُ أَساتي
فَلا تَكِلوني لِلزَمانِ فَإِنَّني
أَخافُ عَلَيكُم أَن تَحِينَ وَفاتي
أَرى لِرِجالِ الغَربِ عِزّاً وَمَنعَةً
وَكَم عَزَّ أَقوامٌ بِعِزِّ لُغاتِ
أَتَوا أَهلَهُم بِالمُعجِزاتِ تَفَنُّناً
فَيا لَيتَكُم تَأتونَ بِالكَلِماتِ
أَيُطرِبُكُم مِن جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ
يُنادي بِوادٍ في رَبيعٍ حَياتي
وَلَو تَزجُرونَ الطَيرَ يَوماً عَلِمتُمُ
بِما تَحتَهُ مِن عَثرَةٍ وَشَتاتِ
سَقى اللَهُ في بَطنِ الجَزيرَةِ أَعظُماً
يَعِزُّ عَلَيها أَن تَلينَ قَناتي
حَفِظنَ وِدادي في البِلى وَحَفِظتُهُ
لَهُنَّ بِقَلبٍ دائِمِ الحَسَراتِ
وَفاخَرتُ أَهلَ الغَربِ وَالشَرقُ مُطرِقٌ
حَياءً بِتِلكَ الأَعظُمِ النَخِراتِ
أَرى كُلَّ يَومٍ بِالجَرائِدِ مَزلَقاً
مِنَ القَبرِ يُدنيني بِغَيرِ أَناةِ
وَأَسمَعُ لِلكُتّابِ في مِصرَ ضَجَّةً
فَأَعلَمُ أَنَّ الصائِحينَ نُعاتي
أَيَهجُرُني قَومي عَفا اللَهُ عَنهُمُ
إِلى لُغَةٍ لَم تَتَّصِلِ بِرُواةِ
سَرَت لوثَةُ الإِفرِنجِ فيها كَما سَرى
لُعابُ الأَفاعي في مَسيلِ فُراتِ
فَجاءَت كَثَوبٍ ضَمَّ سَبعينَ رُقعَةً
مُشَكَّلَةَ الأَلوانِ مُختَلِفاتِ
إِلى مَعشَرِ الكُتّابِ وَالجَمعُ حافِلٌ
بَسَطتُ رَجائي بَعدَ بَسطِ شَكاتي
فَإِمّا حَياةٌ تَبعَثُ المَيتَ في البِلى
وَتُنبِتُ في تِلكَ الرُموسِ رُفاتي
وَإِمّا مَماتٌ لا قِيامَةَ بَعدَهُ
مَماتٌ لَعَمري لَم يُقَس بِمَماتِ

# قراءة سننية في نتائج سرية مؤتة

د. رشيد كهوس

كانت سرية مؤتة(1) في جمادى الأولى سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ(2). كان نصر الله للمؤمنين بعد مخاض عسير، وابتلاء شديد، قتل أصحاب اللواء، وأخذ اللواء سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه فأضرمت نيران الحرب وحمي وطيس المعركة، فقتل من قتل من المسلمين، كر الآخرون راجعين إلى المدينة، فكان النصر ليس كما عهده البشر وليس بظواهر الأحداث، ولذلك لما وصل جيش المسلمين إلى المدينة واستقبلهم الصبيان بقولهم:" يا فرار! أفررتم في سبيل الله؟(3)، لكن الحبيب المصطفى ﷺ الذي أدرك حقيقة الانتصار في هذه المعركة أجابهم بقوله: (ليسوا بفرار ولكنهم كرار إن شاء الله)(4)؛ ولهذا فإن النصر لا يكون دائما بظواهر الأحداث، ولا بالغنائم الكثيرة والأسارى المقرنين بالأصفاد.

وهنا أمر من الأهمية بمكان أشير إليه؛ وهو لما طعن سيدنا عبد الله بن رواحة رضي الله عنه -صاحب اللواء- فقتل أخذ اللواء رجل من الأنصار ثم سعى به حتى إذا كان أمام الناس ركزه ثم قال: إلي أيها الناس! فاجتمع إليه الناس حتى إذا كثروا مشى باللواء إلى خالد بن الوليد فقال له خالد: لا آخذه منك أنت أحق به؛ فقال الأنصاري: والله ما أخذته إلا لك!(5).

ولذلك لما أبى ذلك الرجل من الأنصار القيادة(6)، وأخذ اللواء سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه؛ وشرع في القتال حاول التخلص من هذا المأزق الضيق؛ ثلاثة آلاف من الجنود تواجه فيالق تربو عليهم سبعين ضعفا حاول الانسحاب، وقتال الانسحاب شاق مرهق، خصوصا وخالد لا يريد إشعار الروم بهذه الخطة.

والعجيب أن الرومان أعياهم القتال وأصيبوا فيه بخسائر كبيرة؛ بل إن بعض فرقهم انكشف، وولى مهزوما. واكتفى خالد بهذه النتيجة، وآثر الانصراف بمن معه.

والدلالة التي تعلو على الريب في هذه المعركة أن شجاعة المسلمين وبسالتهم بلغتا حدا لم تعرفه أمة معاصرة، وقد أكسبهم هذا الروح العالي إقداما حقّر أمامهم كبرياء الأمم التي عاشت مع التاريخ دهرا، تصول وتجول لا يوقفها شيء(7).

هذا، ومما لا ريب فيه أن انسحاب سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه كان انتصارا للمسلمين وإن بدا في ظاهره هزيمة، لأن الثبات في وجه العدو يكون مطلوبا إذا أدى إلى هزيمة العدو والاستيلاء على أرضه، فإذا خلا من هذه الغاية، وصار وسيلة لفناء الثابتين صار الثبات غير مطلوب، ربما صار

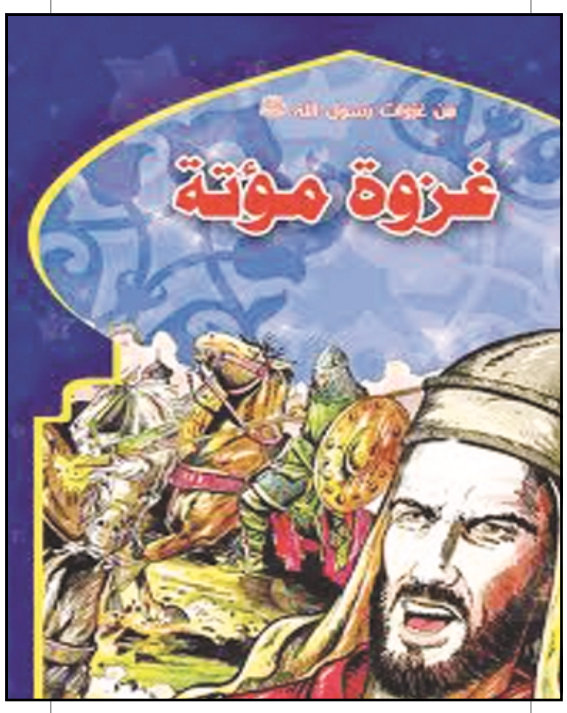


محظورا، ويكون النجاح في تخليص الجيش من قبضة العدو أو من أسره لجنوده. وهذا ما حققه خالد بانسحابه الجريء المنظم، وهذا ما لاحظه سيد العارفين محمد ﷺ فقد حفظ خالد قوته وجيشه لمعارك أخرى قادمة يكون النصر فيها قريبا من المسلمين إن شاء الله تعالى(8).

ومجمل القول: فإن مقياس النصر لا يكون دائما من خلال ظواهر الأحداث، ولا بالنتائج المادية في نهاية المعارك؛ كسحق قوات العدو واحتلال دياره وجمع الغنائم، وإنما قد يكون من خلال ظواهر أحداث قد لا تسرّ عامة المسلمين، وإن كانت هذه الأحداث في لبها هي عين النصر، وإن كان في الآجل وليس في العاجل. وخير دليل على هذا ما وقع في صلح الحديبية، فقد كره المسلمون الصلح ولكنه كان عين النصر والتمكين في الآجل وعلى غير النمط والأسلوب والكيفية التي رغب فيها المسلمون، ولذلك سمى الله تعالى ذلك الصلح مع قبائل قريش "بالفتح" كما جاء في سورة الفتح.

وكذلك انسحاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، وتخليص جيش المسلمين من الهلاك ومن قبضة الأعداء، وإبقاؤهم لمعارك قادمة، كان ذلك نصرا حقيقيا للمسلمين.

فعلى جند الله أن يفقهوا ذلك ولا يحسبوا النصر بما تشتهيه أنفسهم، فإن الغيث النازل من السماء رحمة للناس، ولكن لا يشترط أن يبقى على سطح الأرض حتى يروه، فهو رحمة وإن اختفى في باطن الأرض، وإن نصرهم وظهورهم بقدر بذل جهودهم ومساعيهم وطاقتهم وإخلاصهم في عملهم.. ورب تأخير الوصول إلى تحقيق المقصود خير من التعجل في الوصول إليه يتبعه انكسار ونكسة وتراجع.

---

(1) مُؤتَة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام وبها كانت تُطبع السيوف وإليها تُنسب المشرفية من السيوف. معجم البلدان، باب الميم والواو وما يليهما، حرف الميم.

(2) طبقات ابن سعد، 2/128. مغازي ابن عقبة، ص265-263. تاريخ الإسلام، المجلد الأول(المغازي)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت661هـ)، حققه وقدم له وأعد فهارسه: محمد محمود حمدان، ودار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1/1405هـ- 1985م، 1/401.

(3) طبقات ابن سعد، 2/129.

(4) طبقات ابن سعد، الجزء نفسه والصفحة ذاتها.

(5) طبقات ابن سعد، 2/130.

(6) أبى ذلك الأنصاري ( القيادة لا هروبا من الاستشهاد ولا نكوصا عن الموت، بل شعورا بوجود الأكفأ منه في الصف، وحمله الراية خشية أن تسقط من صور الشجاعة وآيات الجرأة في أحلك اللحظات وفي هذا الموقف العصيب. وليت كل امرئ يعرف أقدار الناس فينزلهم منازلهم التي يستحقونها، فلا يكلف أمته أن تحمل سوء قيادته وعجزه وأثرته.

(7) فقه السيرة، الغزالي، ص400-398.

(8) المستفاد من القصص القرآني، 2/383.

---

بِنَبْضِ القلب

## تاريخ العتمة

في كتاب جديد للباحث المصري وليد فكري(*) يصف التاريخ العربي بأنه ذلك "الرجل البركة" الذي يكتفي أهله وجيرانه بوضع مقعد له في الظل ويتبادلون قصصه وعجائبه على سبيل التسلية، وهكذا يظل هذا التاريخ حبيس ظل أشبه بالعتمة، غارقا في الأكاديمية المفرطة والباردة، والخالية من المشاعر، حيث يصعب على الطلاب والباحثين الاقتراب منه، نظرا لكون جبابرة التاريخ (الأكاديميون) يعتبرون أن كل من شذ عما رسموه وقرروه ما هو إلا حشو خارج عن السياق الأكاديمي والبحث العلمي الرصين، ولقد تم إهمال التاريخ الشعبي الملتصق بالناس، لصالح تاريخ القدر/الحاكم، وأصبح المؤرخ الرسمي نصابا باسم الأنظمة التي تريد أن توطد حكمها الاستبدادي عن طريق مناهج الدراسة، ونتيجة ذلك تحولت مادة التاريخ في المدرسة العربية إلى سجن للعقل والوعي معا، وأضحى التاريخ كلاما إنشائيا يفتقر إلى التحليل والتقييم الموضوعي - انتهى كلام وليد فكري-.

إن التاريخ العربي لاسيما بعد ربيع الشعوب العربية في حاجة إلى إعادة كتابته وصياغة مناهجه وطرق تدريسه، ومحو ما لصق به من تدليس وتهريب للحقائق، وذلك باعتماد المكون الشعبي والبحث الميداني كآلية من آليات توطيد الأخبار والأحداث.

وحتى نكون موضوعيين، فليس كل ما كتب عن التاريخ العربي يجب أن يلقى به في مدارج النسيان، بل لابد من التمييز بين الغث والسمين، وإعطاء الفرصة للباحثين الشباب لينقبوا في تاريخ الشعوب التي هي صانعة التاريخ.

---

(*) وليد فكري -كتاب تاريخ في الظل، الناشر الرواق للنشر والتوزيع القاهرة طبعة أولى 2012، نقلا عن موقع الجزيرة.نت.

ذ. أحمد الأشهب

---

لغتنا العربية..... (تتمة)

**الكتب والقصص للأطفال، والحرص على تعريفهم بالمجلات والقصص المناسبة لهم وترك الاختيار لهم في اقتناء ما يستهويهم ويثير إعجابهم، وتوجيه ميولاتهم بطرق تربوية من شأنها تكوين الرغبة والملكة اللغويتين، كما أن على الآباء أن يتعودوا تقديم الهدايا والمكافئات للأطفال على شكل مجلات وكتب وأشرطة وأقراص تتضمن مواد باللغة العربية مثيرة ومسلية وذات مضمون تربوي ومعرفي مُنَمٍّ لقدراتهم وميولاتهم.**

- التركيز على مسرح الطفل في كل المؤسسات التعليمية والجمعيات المدنية وداخل الأسر لما في هذا الأمر من تشجيع على حفظ الألفاظ والجمل والنصوص الفصيحة وأدائها بصورة تحاكي المواقف الاجتماعية الواقعية، مما يكسب الطفل نضجا لغويا وعقليا واجتماعيا مبكرا، ويكسبه اللغة تلقائيا وبصورة طبيعية من غير تعقيد ولا صعوبات.

■ توسيع دائرة التأليف في أدب الطفل في مختلف الأجناس الأدبية بلغة أدبية رشيقة وشائقة وجذابة

■ إحداث مزيد من مجلات الأطفال بلغة عربية مناسبة لمختلف الأعمار ومتنوعة في تخصصاتها بما يستجيب لحاجيات المتعلمين شكلا ومضمونا، ذوقا وعقلا وتخصصا: علوم شرعية وعلوم مادية، وآداب وعلوم إنسانية، وتشجيع كتابة الشرائح المستهدفة، وتشجيع الأطفال الموهوبين في الإبداع باللغة العربية في أي مجال كان.

■ استعمال الوسائط التقنية في تعليم اللغة العربية تلفاز، إنترنيت، شبكات التواصل الاجتماعي، أقراص، ومن خلال توظيف أفلام قصيرة، أنشودة، حوارات، مسلسلات، تصوير مشاهد وثائقية والتعليق عليها بأصوات أطفال يجيدون استعمال اللغة العربية.

■ جعل اللغة العربية لغة الكتابة والإعلانات واللوحات الإشهارية على أبواب المؤسسات والمحلات التجارية واللافتات ومنع الكتابة باللغات الأجنبية واللهجات العربية الدارجة.

**- فتح أبواب المساجد للتعليم الشعبي، فقد كان للمسجد دور تعليمي رائد لجميع شرائح المجتمع، ففيه تعلم الكثير من أبناء الأمة الذين لم تسعفهم ظروف الحياة في التمدرس الحقيقي، فقام المسجد من هذه الوجهة بتقريب الهوة بين جمهور الناس وعامتهم وبين المستوى العلمي المطلوب لغة ودينا، تفكيرا وتعبيرا بشكل طبيعي وسلس.**

وختاما يمكن القول : إن العربية تجتاز اليوم مرحلة دقيقة وعصيبة في حياتها وتاريخها تعكس ما تعيشه الأمة اليوم من ضعف وتردٍّ وتراجع حضاري في مستويات عدة، ويكفي الأمة لاستعادة وعيها بذاتها الحضارية أن تعود إلى خدمة كل مقوماتها الذاتية خدمة شاملة مبنية على التنسيق والتشاور والتكامل والرؤية الاستراتيجية الراشدة لكل ما تحتاجه مكونات منظومة هوية الأمة من خدمة : دينا ولغة وتراثا وحاضرا ومستقبلا خدمة علمية وعملية تداولية تجديدية، فلا حياة لدين ولا للغة ولا لتاريخ من غير فاعلية القوم واعتزازهم بذلك، وكما أنه لا بقاء لهوية من غير تشبث قومها بها وتفانيهم في تعزيز وجودها وبقائها فلا بقاء لقوم بدون هويتهم، وما دامت اللغة العربية تتبوأ مكانة جوهرية في منظومة الهوية الإسلامية للأمة، فالحفاظ عليها حفاظ على هذه المنظومة بكل مكوناتها.

# لغتنا العربية : أي سبيل لتحصينها والارتقاء بها؟

د. الطيب الوزاني

لم يسبق للغة العربية واللسان العربي أن مرا في تاريخهما الحضاري بما يمكن وصفه اليوم بالأزمة القاتلة، انحسارا وإهمالا وعزوفا من أبنائها ومنافسة من خصومها وتضييقا متعدد الجوانب والمصادر، وضعفا بل وعجزا عن المقاومة والخروج من نفق الأزمة.

ولقد تعددت التحذيرات منذ ما يزيد عن قرن، وتنوعت الدراسات المشخصة لوضعها، وكثرت نواقيس الخطر من كثير من الجهات الغيورة على هذه اللغة، وعلى هذا الدين، وعلى هذه الأمة، وعلى هذه الحضارة، وفي هذا السياق يرمي هذا المقال إلى تجلية بعض السبل التي يرجى من العمل بها إنقاذ اللغة العربية، وتحصينها من كثير من المهددات، والارتقاء بها اكتسابا وتوظيفا وقدرة على البقاء والاستمرار والتجدد.

ولا يمكن أن نصل إلى مستوى تحصين اللغة العربية من هذه المهددات إلا بتوفير محصنات عديدة من شأنها أن تضمن للأمة الأمن على هويتها وخصوصياتها ومقوماتها الدينية واللغوية ومن أبرز ذلك :

**- تعميم تدريس اللغة العربية وعلومها وآدابها في جميع الأسلاك التعليمية، وتيسير سبل اكتسابها تفكيرا وتعبيرا وتدبيرا، واستعمالها في التدريس والحوار داخل الفصل وتشجيع التلاميذ على استعمال العربية الفصيحة والسليمة في إنتاجاتهم الشفاهية وإبداعاتهم الكتابية.**

- تعميم تدريس القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما في جميع الأسلاك التعليمية لأن نصوص الوحي وعلومه تضمنت اللغة في جانبها الأفصح والأرقى، والذي من شأن اكتساب الطفل له أن يكسبه اللغة العربية الفصيحة، ويقدره ذلك على تجاوز مختلف الصعوبات التي يعاني منها ناشئة اليوم، بل إن حاجة الأمة إلى تعليم العربية وعلومها وتعليم الوحي وعلومه حاجة لا ينفك منها عصر، لأن به تجدد حياتها وتجدد الدماء في عروقها، لذلك اعتبر علماء الأمة أن " العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة"(الصاحبي لابن جني، ص 50)، كما أن ضعف التدين فهما وتطبيقا واجتهادا مرتبط بمقدار حظ الأمة من علوم الوحي واللغة وكلما ضعف هذا الحظ ضعف تدينها تصورا وتصرفا بله الإبداع لذلك لاحظ ابن جني بحق " أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها إنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الشريفة الكريمة" الخصائص: 245/3)

- تكميل مسيرة تعريب العلوم في المستوى الجامعي وتعريب العلوم التكنولوجية والصناعية في مدارس التكوين المهني والمعاهد العليا وكليات العلوم، وتوسيع شبكة المعاهد والمراكز المتخصصة في التعريب والترجمة وتيسير سبل نشر بحوثها ونتائجها على مستوى الإدارات والمؤسسات المعنية بتلك النتائج، لأن اعتماد اللغات الأجنبية في تدريس العلوم يعد أكبر العوامل في ضعف اللغة الأم، لأن اللغة الأجنبية تحل محلها في الاستعمال والتداول تدريجيا عبر الأجيال، وتصير الإقبال على اللغات الأجنبية أكثر لكونها سببا في الارتقاء الاجتماعي.

- إيلاء اللغة العربية مكانة قانونية وعملية في القرار السياسي، وإيلاء الحاملين للشواهد العلمية فيها، والحاصلين على الشواهد العليا في العلوم المعربة تقديرا خاصا

**إشراك المؤسسة الإعلامية في الاهتمام باللغة العربية استعمالا وتعليما وترويجا لما أصبح يحظى به الإعلام من نفوذ وسلطة في التأثير سلبا وإيجابا، وباعتبار أن اللغة العربية لغة رسمية بقوة القانون والتاريخ والاستعمال في البلدان العربية فلا يحق للإعلام أن يعزف لحنا خارج النسق المكون لهوية الأمة**

وفرصا في تولي المناصب أكثر من الحاصلين على الشواهد باللغات الأخرى، واشتراط إتقان اللغة العربية نطقا وقراءة وكتابة في تولي المناصب أياً كان نوعها ومستواها لأن مما يزهد الناس في لغة ما ويجعلهم يقبلون على أخرى هو مدى ما تحققه من ارتقاء اجتماعي وقوة طلبها في سوق الشغل والعمل والإدارة.

- إدخال كل الأحزاب والنقابات والهيئات والجمعيات المدنية مسألة الدفاع عن اللغة العربية وحمايتها والارتقاء بها ضمن مشاريعها، وإعداد برامج مشروعات عملية في جميع القطاعات والمستويات، وذلك واجب تاريخي وحضاري أكثر منه واجب محلي أو قطري أو ظرفي، أو واجب على بعض دون بعض.

- إشراك المؤسسة الإعلامية في الاهتمام باللغة العربية استعمالا وتعليما وترويجا لما أصبح يحظى به الإعلام من نفوذ وسلطة في التأثير سلبا وإيجابا، وباعتبار أن اللغة العربية لغة رسمية بقوة القانون والتاريخ والاستعمال في البلدان العربية فلا يحق للإعلام أن يعزف لحنا خارج النسق المكون لهوية الأمة، ومن جملة ما يمكن أن يساعد به الإعلام في تقوية اللغة العربية في هذا الجانب:

■ إنتاج برامج إعلامية تستعمل اللغة العربية الفصيحة، أو ترجمة الأعمال الإعلامية ودبلجتها باللغة العربية الفصيحة، وتجنب الدبلجة والإنتاج باللهجات العربية المحلية، لما يمكن أن يحقق هذا العمل من تأثير تدريجي وواسع في استعادة استعمال اللغة العربية على أوسع نطاق شعبي ورسمي، والدليل على هذا الأثر الكبير الذي أحدثته الأفلام المصرية بلهجتها المصرية في المواطن المغربي الذي صار يتقن اللهجة المصرية فقط عبر الأفلام والمسلسلات التي غزت الإعلام المغربي في الستينيات وما بعدها، فلو كانت هذه الأفلام باللغة العربية الفصيحة لقدمت خدمة جليلة للعربية.

■ إعداد برامج الأطفال بمختلف أنواعها: أفلام، رسوم، برامج تعليمية ووثائقية... وتنويعها عدا ونوعا، إذ ثبت أن برامج الأطفال باللغة العربية الفصيحة لها تأثير قوي في إقدارهم على اكتساب اللغة وتوظيفها بشكل طبيعي خال من تعقيدات التعلم وصعوباته، فضلا عن أنه ينمي قدراتهم العقلية ويوسع من حصيلتهم المعرفية ورصيدهم العلمي، وينمي فيهم القدرات التواصلية والحوارية.

- اعتماد المسابقات الثقافية في اللغة العربية وبها : في الشعر والقصة، والمسرح، والمقالة ... وتوسيع الإعلام بها والتكثير منها كما وكيفا، في الإعلام الرسمي والفضائيات، وفي المؤسسات التعليمية، وتخصيص الجوائز للمتفوقين، ورعاية الموهوبين منهم في تكوينات ودورات خاصة...

- إحداث مجالس أسرية مع الأطفال لتدريس وتعليم اللغة العربية من خلال الأشعار العربية الرصينة، والنصوص الأدبية المتينة : الخطابة والإنشاء والوصف والمقالة، والتدرب على استعمال اللغة العربية الفصيحة مع الطفل يساعده على اكتساب ملكتها شفويا وصقل مواهبه وقدرات التفكير والتعبير الكتابي والشفوي على حد سواء.

- تخصيص الآباء حصصا لقراءة قصص باللغة العربية لأطفالهم تناسب أعمارهم وبطريقة مثيرة ومؤثرة نبرا وتنغيما وأداء وفصاحة لتعويد الأطفال سماع اللسان العربي واستضمار نسقه الصوتي والصرفي والمعجمي والبلاغي والتداولي.

- حرص المدرسين والأسر المتعلمة على تشجيع أبنائهم على قراءة مواضيع باللغة العربية وإعداد بحوث فيها ومذاكرتها معهم باستعمال اللغة الفصيحة.

**- تعويد الطفل على مرافقة والديه إلى المكتبات المتخصصة في بيع**

تتمة : ص 15

## إلى أن نلتقي

# الربيع المزهر

أذكر أن صديقاً عزيزاً ذكر ذات مرة في سياق محاضرة علمية وهو يشير إلى ما عُرف بالربيع العربي، وكان آنذاك في بداية أمره، قال إنه ربيع لا يُزهر. وكنت أود أن أسأله هل في نظره أنه سيبقى ربيعا على الدوام، لن يزهر على الإطلاق، أم سيصبح هشيما دون إزهار وإثمار.

بقيت العبارة في ذهني إلى أن جاءت أحداث غزة الأليمة الأخيرة، التي تعرضت لقصف همجي للعدوان الصهيوني، أدى إلى استشهاد العشرات وجرح المآت، وهدم العديد من المنشآت والبنايات.

ومع بدأ القصف أعلنت مصر سحب سفيرها وفتح معبر رفح.

وفي ظل القصف وأشده، زار غزة العزة مسؤولون كبار، ولأول مرة، من المشرق والمغرب. ثم توالت الزيارات بعد ذلك من قبل العديد من الشخصيات، حتى ممن كان يعادي الفلسطينيين وارتكب في حقهم سابقا ما ارتكب.

وفي ظل القصف وأشده، تجتمع الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية، ولأول مرة نسمع كلاما، يختلف في جوهره عما كنا نسمعه سابقاً.

وفي حر العدوان وأشده، ترسل دول عربية مساعدات إنسانية وطبية إلى غزة، ولأول مرة تدخل هذه المساعدات إلى غزة دون انتظار ودون حواجز من الجانب الآخر.

وفي حر العدوان وأشده، يَثبُت هناك أطباء، وفي مقدمتهم أطباء مغاربة، ليُثبِتوا للعدو أن الأمة مع غزة العزة قلبا وقالبا.

وفي أثناء العدوان وبعده، لم تتوقف الاحتجاجات والمظاهرات هنا وهناك من أرض هذه الأمة، ولعل آخرها تلك المظاهرات التي عرفتها الرباط والبيضاء ببلدنا العزيز، حيث عبّر أبناء شعبنا بمختلف أطيافه أن أمتنا أمة واحدة.

حدث هذا كله وغيرُه، مما يعبِّر عن التضامن الكبير مع أشقائنا في غزة فلسطين، ويدين كافة أشكال العدوان عليه من قِبل الاحتلال، وكل ذلك كان بلهجة جديدة وإيقاع متميِّز لم يكن معهودا من قبل... ومما لم يكن معهوداً من قبل على الإطلاق، أن تُوِّجَت حركة الزيارات إلى غزة بزيارة مجموعة من قادة حماس، على رأسهم رئيس مكتبها السياسي خالد مشعل، الذي ما كان أحدٌ يظن أن تطأ قدماه أرض فلسطين، على الأقل على المدى القريب...

فكنت أقول وأنا أتابع هذه الأحداث: أليس هذا من أزهار ربيعنا العربي وثماره؟

متى زار مسؤول عربي رسمي غزة، في ظل العدوان أو في غيره، قبل هذا الربيع، وقد تعرضت لأكثر من عدوان جوّا وبراً وبحراً؟ ألم يكونوا، على عكس ذلك، يتحرجون من لقائهم خوفا مما يمكن أن يترتب عن ذلك من تُهَم؟

متى كانت كلمات الدول العربية تتجاوز التنديد الكلامي إلى التلويح بفعل شيء ما، حتى ولو كان هذا الشيء ليس إعلان حرب، ولكن فعل شيء مَا، ممّا يتجاوز الكلام على الأقل؟ نعم يتجاوز الكلام! لكن ليس على طريقة اللاءات القديمة التي لم تعُد على فلسطين وعلى غيرها من الدول العربية والإسلامية إلا بالهزيمة والعار.

متى فرضت المقاومة الفلسطينية شروطها على العدو فرضا، معلنة انتصارها عليه، ولأول مرة؟

نعم لقد وقَفت المقاومة الفلسطينية مواقف بطولية مشرِّفة، أثبتت أن جيش العدوان لابدّ أن يُقْهر، لكن الربيع العربي أيضا كانت له ثماره الإيجابية على الوضع في غزة أثناء العدوان وبعده، بل وفي فلسطين كلها، وعما قريب ستُرى أزهاره يانعة أكثر بإذن الله تعالى، ومعَ الإزهار، لابد أن تُقطف في يومٍ ما الثّمار.

د. عبد الرحيم الرحموني